الندوة العالمية للشباب الإسلامي
اللجنة الثقافية
سلسلة إصدارات الندوة العالمية
(١١٥)

عقيدة ألوهية المسيح عند النصارى

(دراسة نقدية في ضوء النصوص الدينية)

إعداد
الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز الشعيبي
أستاذ الشريعة المشارك
قسم العلوم الإنسانية – كلية الملك خالد العسكرية

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ⓒ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشعيبي ، عبدالله بن عبدالعزيز

عقيدة ألوهية المسيح عند النصارى : دراسة نقدية في ضوء النصوص الدينية . - الرياض.

١٧٠ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ٥ - ٣٥ - ٦١٦ - ٩٩٦٠

١- العقيدة المسيحية ٢- الألوهية

٣- الإسلام والمسيحية أ- العنوان

ديوي ٢٧٣ ٢٣/٢٥٥٧

رقم الايداع ٢٣/٢٥٥٧

ردمك : ٥ - ٣٥ - ٦١٦ - ٩٩٦٠

al-maktabeh

مكتبة المهتدين

http://al-maktabeh.com

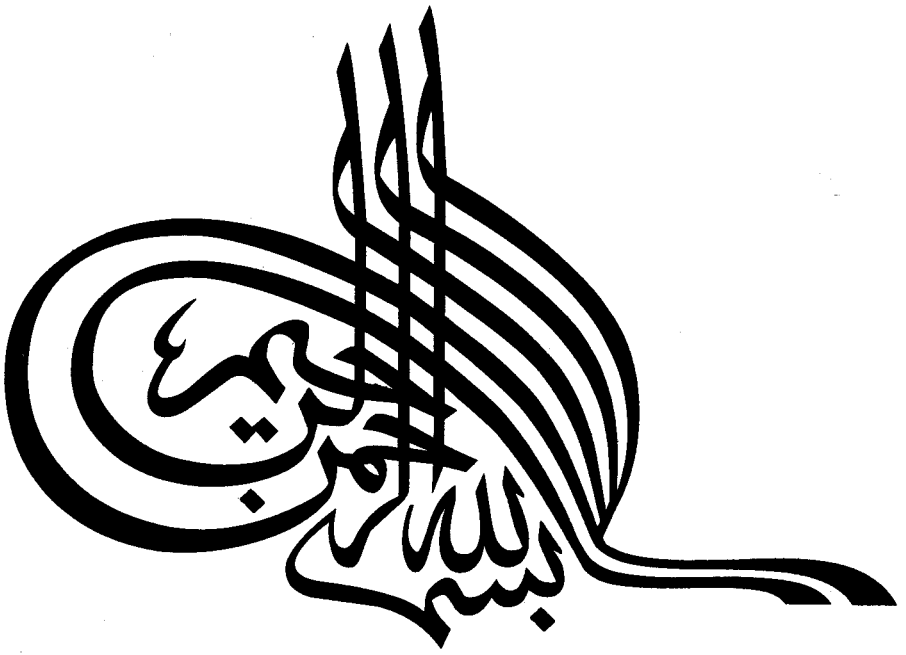
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، أما بعد :

فإن توحيد الله ، وإخلاص الألوهية لله وحده ، هو أول وأعظم المقاصد التي من أجلها أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وهو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ، وهو العبادة التي من أجلها خلق الله الخلق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذريات:٥٦)، وقال تعالى : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران:٨٤) .

ولقد ضل في هذا الأصل العظيم أمم كثيرة ، ومن تلك الأمم التي ضلت فيه أمة النصارى ، فقد كفروا بالله ؛ لأنهم أشركوا مع الله أحد خلقه لقولهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧ ، ٧٢)، ولقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ (المائدة: من الآية٧٣)؛ ولأنهم اتبعوا : ﴿أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: من الآية٧٧)، ولأنهم غلوا في دينهم ، وقالوا على الله غير الحق،

فلم يعتقدوا بألوهية الله وحده ، ولم يعتقدوا أن ﴿ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء: من الآية ١٧١).

وقد اهتم علماء المسلمين قديماً وحديثاً ، ببيان ضلال هؤلاء القوم في حق الله عز وجل ، وحق عبده ورسوله المسيح. عليه السلام. وبينوا أن عاقبة هذا الضلال الخسران في الدنيا والآخرة .

كما ذكروا الكثير من أسباب ضلال هؤلاء النصارى ، وأن من أسباب ضلالهم ، وأمثالهم من الغالية وغيرهم ، ثلاثة أشياء(١) :

أحدها : ألفاظ متشابهة مجملة منقولة عن الأنبياء ، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها ، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلا على ذلك، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك : إما أن يفوضوها ، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال ؛ يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ، ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين .

والثاني : خوارق ظنوها من الآيات وهي من أحوال الشياطين ، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم ، مثل دخول الشياطين في الأصنام وتكليمهم للناس ، ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة ، ولا بد لهم مع ذلك من كذب ، ومثل تصرفات تقع من الشياطين .

والثالث : أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب ، وإلا فليس مع النصارى ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح ، ولا آية من آيات الأنبياء ، إن تكلموا بمعقول تكلموا بألفاظ متشابهة مجملة ، فإذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات وفرق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه ، وإن تكلموا بمنقول : فإما أن يكون صحيحاً لا يدل على باطلهم ، وإما أن يكون غير ثابت بل مكذوب ، وكذلك ما يذكرونه من خوارق العادات: إما أن يكون صحيحاً قد ظهر على يد نبي كمعجزات المسيح، ومن قبله كإلياس واليسع وغيرهما من الأنبياء ، وكمعجزات موسى صلى الله عليه وسلم فهذه حق ، وإما أن تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين ، كالحواريين، وذلك لا يستلزم أن يكونوا معصومين كالأنبياء، فإن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور أن يقولوا على الله إلا الحق ، ولا يستقر في كلامهم باطل ، لا عمداً ولا خطأ . وأما الصالحون : فقد يغلط أحدهم ويخطئ مع ظهور الخوارق على يديه ، وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً ، ولا يوجب أن يكون معصوماً إذا كان هو لم يدع العصمة ، ولم يأت بالآيات الدالة على ذلك ، ولو ادعى العصمة وليس بنبي لكان كاذباً لا بد أن يظهر كذبه ، فتقترن به الشياطين فتضله ويدخل في قوله تعالى :﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(الشعراء:٢٢١ - -٢٢٢)

ولقد كانت تلك الأسباب التي كانت سبب ضلال النصارى ، إضافة إلى حاجة الدعاة إلى الله بين النصارى إلى العلم بوسائل وأساليب دعوتهم ، هي سبب اختيار الكتابة في هذا الموضوع ، الذي هو امتداد

لمنهج السلف في دعوة أهل الكتاب ، بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالهم بالتي هي أحسن ، الذي سنبين من خلاله - إن شاء الله - الحق في بيان بطلان تمسكهم بالألفاظ المتشابهة من نصوص العهد القديم والعهد الجديد ، التي كانت سبب ضلالهم في الاعتقاد أنها تدل على ألوهية المسيح ، وبيان عدولهم عن الألفاظ الصريحة المحكمة ، الدالة على التوحيد التي جاءت في نصوص العهد القديم والعهد الجديد ، والقرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها .

وسيقوم المنهج في دراسة هذا الموضوع ، على ذكر النصوص التي يعتقدها النصارى دليلاً على ألوهية المسيح من واقع مصادرهم ، ثم أقوم بالرد عليها من مصادرهم أولاً ، ثم بنصوص القرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الوحي المنزل على رسله .

وستكون مناقشة تلك النصوص التي كانت سبب ضلالهم ، في ضوء الأصلين المتفق عليهما بين أهل العلم ، وهما :

الأول : أن النصوص إذا وردت ، فإن وافقت المعقول تركت على ظواهرها ، وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مراده ، فيجب إذ ذاك ردها إلى المجاز .

والثاني : أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إثبات حكم، وبعضها على نفيه ، فلا نتركها متعارضة إلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز ، باستحالة إمكان الجمع ، وامتناع جعلها متظافرة على معنى واحد(٢) .

ثم إذا نحن أتينا عليها بالتأويل ، وبينا ما يحتمله بالدليل من التوراة والإنجيل ، لم يبق على إجرائها على الظاهر من سبيل ، بعد أن نقدر صحتها مثلاً ، ونسلم ورودها جدلاً ، ولو نسبناهم فيها إلى التحريف والتصحيف ، لأغريناهم بطغيانهم ، وحسمنا عنهم مادة إيمانهم ، بل نلاطفهم ، ونتكلم بمقتضى اصطلاحهم ومنقولهم ، فعسى أن يكون ذلك أقرب لمعقولهم ، فأما الخوض بهم في أدلة العقول فشيء لا تحمله قواهم ولا يلائم هواهم(٣) .

وستكون دراسة قضايا هذا الموضوع في أربعة مباحث :

المبحث الأول : اعتقادهم تجسد الإله (الكلمة) في المسيح .

المبحث الثاني : اعتقادهم أن المسيح ابن الله ، ومساواته بالله .

المبحث الثالث : اعتقادهم ألوهية المسيح من خلال معجزاته .

المبحث الرابع : اعتقادهم ألوهية المسيح من خلال صلبه وقيامته .

وأسأل الله سبحانه أن ينفع به أجزل النفع ، وأن يهدي به من ضل عن الحق ، وأن يكشح أمامه خرافات الشرك وضلالات الأوهام ، إنه ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

http://al-maktabeh.com

المبحث الأول

اعتقادهم تجسد الإله (الكلمة) في المسيح

يعتقد النصارى أن الله وعد بخلاص آدم من الموت الأبدي ، ولكي يتم هذا الفداء كان يجب عليه - تعالى الله عن قولهم - أن يتخذ جسد إنسان ويتحد به لكي يتم هذا الفداء ، ويزعمون أن التجسد كان نتيجة لمحبة الله للإنسان الذي خلقه على صورته ، كما عبر عن ذلك يوحنا بقوله : (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم) (٤) .

ويعتقدون أن الله الكلمة تجسد في المسيح ؛ لأن الذي خلق الإنسان - حسب عقيدتهم - هو أقنوم المعرفة ، أي عقل الله ، الله الكلمة (اللوغوس) تجسد في المسيح ، وأنه كما في فاتحة إنجيل يوحنا : (في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله) (٥) .

فالكلمة في عقيدة النصارى ، هي الله ، ثم تجسدت الكلمة في المسيح : (والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأيناه مجده كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً) (٦) ، وهذه الفقرة من الإنجيل مرتبطة بالفقرة الأولى ، وعليها بنت النصارى القول بالحلول والاتحاد واعتقاد ألوهية المسيح ، وشبهتهم في ذلك ما ورد موهماً من ألفاظ العهد الجديد كالأب والابن والإله والرب والسجود والغفران ونحو ذلك ، فلم يحملوها على ما

أريد منها ، وحملوها على ظاهرها وخصوصيتها بعيسى - عليه السلام - وهذا كله ظاهر البطلان كما سنعرف ذلك .

هذا الاعتقاد بالتجسد الإلهي في المسيح - تعالى الله عن قولهم - من أجل ماذا ، ولأي شيء ؟ يقول القس وديع ميخائيل : (هناك على الأقل سبعة أسباب نرى فيها ضرورة التجسد ، ومجيء الله في المسيح يسوع في صورة الإنسان : أولاً : هو أن يصير الله مُخلص البشر ... ثانياً : هو أن يكون واحداً يستطيع ويريد أن يموت عن الناس... ثالثاً : ليكون يسوع وسيطاً بين الله والناس.... رابعاً : هو أن يصير يسوع كاهناً ... خامساً : هو إعلان الله... سادساً : هو الجلوس على عرش داود... سابعاً : هو أن يكون يسوع فادياً للإنسان....)(٧) .

ويوضح زكي شنودة أسباب عقيدة التجسد بقوله : (حين خالف آدم وصية الله ، جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته ، وطرد هو وذريته من الفردوس ، ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا أولاً إلا بعد الحصول على مغفرة خطاياهم ، ولم يكن ممكناً للإنسان أن يقدم كفارة عن خطاياه لعجزه وتسلط هذه الخطايا على طبعه ، وقد كان الله قادراً على أن يجري على آدم أحد أمرين : فإما أن يهلكه عقاباً له على جريمته ، أو يسامحه تعطفاً على ضعف طبيعته ، إلا أن عقابه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة ، كما أن تبريره بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل ، في حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين ، لأن في ذلك نقصاً والخالق منزه عن النقص ، لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة بها يخلص الإنسان ، ويستوفي العدل الإلهي حقه في ذات الوقت ، وتلك هي ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة إلهية ، باشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى

يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها وتفي ما عليها تجاه العدل الإلهي ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية ، حتى يمكن أن تتم المصالحة بين الله والناس ، لأن العدل الإلهي يقتضي بأن الطبيعة التي أخطأت هي التي تموت ، ومن ثم فقد أخذ الله طبيعة الإنسان لكي يتحمل فيها القصاص الواجب ، واتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حصل به الجسد على كمال غير متناه ، يتيسر له بواسطته أن يقدم الكفارة عن خطيئته غير المتناهية ، وبذلك فقد كانت هذه الوسيلة هي أسمى الوسائل وأحكمها ، لأنها استوفت العدل والرحمة معاً) (٨) .

ويزعمون أنه ورد في العهد القديم الوعد بمجيء ذلك الذي يخلص الناس من ذنوبهم ، وأن الحية التي تمثل الشيطان هي سبب الخطيئة التي وقع فيها آدم وزوجه حين أغوتهما فأكلا من الشجرة فبدت عوراتهما ، وأن الله قال لآدم : (هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ، فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت ، فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت ، فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك تسعين ، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، وهو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه)(٩) .

فهذا النص في زعم النصارى وعدٌ بمجئ ذلك الذي يستطيع وحده أن يسحق رأس الحية التي تمثل الشيطان ، وأن المسيح الذي هو نسل المرأة هو الذي يسحق الرأس المسموم ، رأس الحية الذي سمم البشرية كلها ، ويستشهدون على ذلك بقول يوحنا في إنجيله : (من يفعل

الخطيئة فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ ، لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس) (١٠) .

فآدم وذريته - في زعمهم - في عداوة مع الله ، وأن المصالحة مع الله لن تتم إلا بعد التجسد الإلهي في المسيح ، وموته على الصليب كفارة عن خطاياهم(١١) .

ويزعمون أنه ورد في أحد أسفار العهد القديم ، الشهادة بأن الفادي سيولد من امرأة عذراء ، وأن النبي أشعياء قد تنبأ بمولده قبل سبعة قرون وثلث ، وأن نبوءته رمزٌ للمسيح ، إذ جاء في سفر أشعياء : (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ، زبداً وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير)(١٢) .

ويزعمون أن إنجيل متى صدق هذه النبوءة بقوله : (وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل ، هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا)(١٣) .

ولم يُجْمع أهل التثليث على إقرار هذه العقيدة إلا بعد رفع المسيح عليه السلام - بأكثر من ثلاثة قرون، وذلك في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، حين صدر قانون إيمانهم المقدس بالاعتقاد بألوهية المسيح ، ونصه : (ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس

ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه ، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء)(١٤) .

وبعد هذا العرض لأحد أدلة ألوهية المسيح - عليه السلام - عند النصارى ، نستنتج ثلاث قضايا هامة تستحق المناقشة ، القضية الأولى : اعتقادهم أن الكلمة تجسدت في المسيح ، القضية الثانية : خطيئة آدم التي جاء المسيح فداء لها ، القضية الثالثة : اعتقادهم أن سفر أشعياء بشر أن المسيح هو عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ، وبيان ذلك فيما يأتي :

المطلب الأول : مناقشة القضية الأولى :

يعتقد النصارى أن الكلمة التي هي الله - على زعمهم - تجسدت في المسيح ، وأن المسيح - كما في فاتحة إنجيل يوحنا - (في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ... كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده)(١٥) ، هذا الاعتقاد بأن الكلمة كان الله وتجسد في المسيح ، باطل بنصوص أسفارهم المقدسة ، وبالأدلة العقلية ، وبيان ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن دليل النصارى على الاعتقاد أن الكلمة التي هي الله تجسد في المسيح ، لا يوجد إلا في فاتحة إنجيل يوحنا - آنف الذكر - فقط ، أما الأناجيل الثلاثة الأخرى وسفر أعمال الرسل ورسائل بولس ، فلم يرد

http://al-maktabeh.com

فيها شيء عن تجسد الكلمة في المسيح ، وإنما النصوص التي يستدلون بها على التجسد قد يوهم أنها تدل على ذلك ، ولكنها خلاف مرادهم ؛ لأن العهد الجديد يحوي الكثير من العبارات المنسوبة إلى المسيح ذات مفهوم مجازي ، فإذا كانت موافقة للمعقول فإنها تترك على ظاهرها ، وإذا خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة، فيجب إذ ذاك ، ردها إلى المجاز ؛ لأن إعمالها على ظاهرها يضاد النقل والعقل ، أما إذا تعارضت ، فدل بعضها على إثبات حكم ، وبعضها على نفيه ، فلا نتركها متعارضة ، إلا إذا أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع ، وامتناع جعلها متظافرة على معنى واحد .

وإذا تقرر ذلك ، فإن النص في فاتحة إنجيل يوحنا الذي يعولون عليه في إثبات اعتقادهم أن الكلمة هي الله ثم تجسدت في المسيح ، هذا التفسير من باب الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً ، بدليل أن بعض مفسري أناجيلهم يستبعد أن يحتمل النص معنى أزلية المسيح أو اتحاده ، يقول وليم أدلي الأمريكي في كتابه (شرح الأناجيل الأربعة) : (وعبارة يوحنا كما تحتمل القول بأزلية الكلمة التي هي المسيح ، وأقنوميته واتحاده مع الأب ولاهوته ، فهي تحتمل عندنا تفسيراً آخر صورته أن يقال : (في البدء) أي : في بدء تنزل الوحي العتيق على أنبياء الناموس ، كان الكلمة وهو المسيح ، كان مبشراً به ومنتظراً ومسطوراً في الأسفار القديمة باسم الكلمة الصالحة (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا) وسمي بذلك على ألسنة اليهود المنتظرين ظهوره) (١٦) .

وهذا التفسير هو الذي تؤيده النصوص الدينية ، أن الكلمة قد يراد بها الوعد والبشارة من الله لأنبيائه بالمسيح - عليه السلام - إذ جاء في سفر أرميا : (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا)(١٧) ، وجاء في سفر أشعيا : (لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين)(١٨) ، وجاء في سفر المزامير عن الله : (لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده فأخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم)(١٩) ، وجاء في سفر الأيام : (اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل الذي قطعه مع إبراهيم) (٢٠) ، ويدل على أن معنى الكلمة أنها البشارة بالمسيح ، قول لوقا في إنجيله : (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة)(٢١) ، أي : خداماً للمسيح كلمة الله : بشارة الله لمريم ، وقول يوحنا عن المسيح : (ويدعى اسمه كلمة الله)(٢٢) ، ويوضح هذا قول المسيح - عليه السلام - عن نفسه : (هذه الأعمال التي بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني ، والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي ، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم ؛ لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به)(٢٣) ، أي : أن المسيح كلمة الله لن يثبت فيهم ؛ لأنهم لم يؤمنوا بمرسله وهو الله تعالى ، وفي القرآن الكريم يقول جل شأنه : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ﴾(٢٤) ، مصدقاً بكلمة من الله ، أي : يعني بعيسى بن مريم ، وشهد أنه كلمة من الله(٢٥) .

كما جاء ذكر الكلمة في أسفار العهد القديم ، وأسفار العهد الجديد ، وكذا في القرآن الكريم ، جاء ذكرها في أكثر من دلالة ، وعلى معانٍ عدة ، ذكرتها في غير هذا الموضع(٢٦) ، وليس فيها ما يؤيد معتقدهم ، ومن معانيها ما يأتي :

١) أن الكلمة جاءت بمعنى الوحي الإلهي ، ففي سفر الخروج : (وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات ؛ لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل ... فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر)(٢٧) ، وفيه أيضاً : (وجمع موسى كل جماعة بني إسرائيل وقال لهم : هذه هي الكلمات التي أمر الرب أن تصنع)(٢٨) ، وقال أرميا : (اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل)(٢٩) ، وإلى هذا المعنى قال لوقا في إنجيله : (وإذ كان الجمع يزدحم عليه (أي على المسيح) ليسمع كلمة الله (أي الوحي) ... وصار يعلم الجموع من السفينة ، ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ..)(٣٠) ، وفي إنجيل لوقا أن تلاميذ المسيح سألوه عن المثل الذي ضربه لهم فقال : (وهذا هو المثل ، الزرع هو كلام الله ، والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا ، والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح ، وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدون ، والذي سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً ، والذين في الأرض الجيدة هم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر)(٣١) ، وفي سفر أعمال الرسل : (وكانت كلمة الله تنمو

وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان)(٣٢)، وفيه أيضاً : (فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة ... ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ... ثم إنهما بعدما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم ..)(٣٣) ، وفي القرآن الكريم يقول الله جل شأنه : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾(٣٤) أي : صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم، يقول : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك ، ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾، أي : ليس أحد يعقب حكمه تعالى ، لا في الدنيا ولا في الآخرة (٣٥) ، وقال تعالى : ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾ (٣٦) ، أي : لا مغير لها ، ولا محرف ولا مزيل لما أوحي إليك من كتاب ربك (٣٧) .

٢) وجاء المراد بها الكلمة الكونية التي هي إرادة الله تعالى ومشيئته في خلقه ، قال أرميا : (فكانت كلمة الرب إليَ قائلاً : قبلما صورتك في البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبياً للشعوب ... ثم صارت كلمة الرب إليَ قائلاً : ماذا أنت رائياً يا أرميا ... ثم صارت كلمة الرب إليَ ثانية ..)(٣٨) ، وجاء في سفر أرميا : (كلمة الرب التي صارت إلى أرميا من جهة القحط) (٣٩) ، وفي الإنجيل يقول المسيح عليه السلام : (طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه)(٤٠)، وفي سفر أعمال الرسل:(قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون)(٤١)، وجاء في القرآن الكريم تسمية المسيح بالكلمة ؛ لأنه تمخضت فيه الإرادة الإلهية العليا ، وخرقت له النواميس العامة للتوالد بين البشر

، وشاء الله أن يكون فكان ، قال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ (٤٢) ، أي : بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي : يقول له كن فيكون ، فسماه الله كلمته ؛ لأنه كان عن كلمته(٤٣) ، وقال تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ (٤٤) ، أي : أن الله خلق المسيح بالكلمة التي أرسل بها جبريل - عليه السلام - على مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عزوجل ، فكان عيسى بإذنه عزوجل(٤٥) ، وقال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ﴾ (٤٦) ، أي : وعد الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه ، على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض ، ونصره إياهم على عدوهم فرعون (٤٧) .

٣) وجاءت الكلمة بمعنى الوعد أو الوعيد بما سيقضي به الله ، ففي سفر حزقيال : (لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب : لا يطول بعد شيء من كلامي ، الكلمة التي تكلمت بها تكون يقول السيد الرب)(٤٨) ، أي : أن كلمة الله نافذة لا محالة ، و في سفر أرميا : (لأنه هكذا قال الرب : إني عند تمام سبعين سنة لبابل ، أتعهدكم وأقيم بكم كلامي الصالح يزوركم إلى هذا الموضع) (٤٩) ، فكلامه الصالح هو وعده برجوع بني إسرائيل من السبي البابلي ، وبهذا المعنى قال بولس : (لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين)(٥٠) ، أي : وعد الله ووعيده ستحل بمن شاء الله لا محالة ، ويوضح هذا المعنى ما جاء في الإنجيل ، أن المسيح - عليه السلام - قال : (الحق أقول لكم : لا

http://al-maktabeh.com

يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لايزول)(٥١) ، أي : ما أخبر به المسيح بما سيقضي به الله ، سيتحقق ويقع لا محالة ، وفي القرآن الكريم قال سبحانه: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المؤمنين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون)(٥٢) ، أي : ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون ، أي : مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب ، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج (٥٣)، وقال تعالى : ﴿ وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ (٥٤) ، أي : كما حق على الأمم التي كذبت رسلها ، وحل بهم العقاب بتكذيب رسلهم ، وجدالهم إياهم بالباطل ، ليدحضوا به الحق ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك ، الذين يجادلون في آيات الله(٥٥) .

٤) وجاءت الكلمة بمعنى الأمر أو النهي من الله ، فقد جاء التعبير عنها بأنها تُرسل ، وتُعطى ، وتعمل ، ففي سفر المزامير : (يرسل كلمته في الأرض ، سريعاً جداً يجري قوله)(٥٦) ، وجاء أيضاً في السفر نفسه : (أرسل كلمته فشفاهم)(٥٧) ، وجاء فيه أيضاً : (الرب يعطي كلمة المبشرات بها جند كثير)(٥٨) ، وجاء في سفر أشعيا : (هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي ، لا ترجع إليَ فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له) (٥٩)، وجاء في إنجيل يوحنا أن المسيح - عليه السلام - قال لليهود الذين آمنوا به : (إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي ، وتعرفون الحق والحق يحرركم)(٦٠) ، أي : إن ثبتوا على الأمر الذي جاءهم به من الله يتحقق ما أخبرهم به ، وقال أيضاً: (إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً ، الذي لا

يحبني لا يحفظ كلامي ، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني ، بهذا كلمتكم وأنا عندكم)(٦١) ، ومراده بحفظ كلامه ، أي : الأمر والنهي الذي أرسل به من عند الله ، وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن)(٦٢) ، أي : اختبار الله تعالى إبراهيم بفرائض فرضها عليه ، وأمر أمره به ، وذلك هو الكلمات التي أوحاهنَ إليه وكلفه العمل بهنَ امتحاناً منه له واختباراً(٦٣) .

ومن هذه النصوص يتضح أن الكلمة أضيفت إلى الله ؛ لأنها إلقاء من الله تعالى ، أي : أنها صادرة منه تعالى ، إما بمعنى الكلمة السابق بها الوعد والبشارة من الله لأنبيائه بالمسيح عليه السلام ، وإما بمعنى وحي الله لمن يشاء ، وإما أن يراد بها الكلمة الكونية التي هي إرادة الله ومشيئة في خلقه ، وإما بمعنى الوعد أو الوعيد بما سيقضي به الله ، وإما بمعنى الأمر أو النهي من الله تعالى .

وبهذا يتبين أن معنى إضافة الكلمة إلى الله لا يعني أنها صارت إلهاً ، أو أنها جوهر مستقل ، وأقنوم قائم بذاته ، ثم تجسدت في المسيح كما يعتقد النصارى ، وليس معنى تسمية المسيح بالكلمة وإضافتها إلى الله ، أن المسيح قد اكتسب طبيعة إلهية كما يعتقد النصارى ، بل إن إضافة الكلمة إلى الله للاحتراز عن الكلمة الكاذبة التي من الشيطان، التي جاء التحذير عنها في سفر الأمثال بقوله : (الغبي يصدق كل كلمة)(٦٤) ، فقد ورد في السفر نفسه بيان أن : (كل كلمة من الله نقية)(٦٥) ، فهذا يدل على أن كلمة الله نقية ، وكلمة الشيطان رديئة ، ولذلك لزم إضافة الكلمة الملقاة المعبر بها عن المسيح إلى الله تعالى دون سواه .

ثانياً : أنه في فاتحة الإنجيل قال : (في البدء) فأي بدء تعني ؟ وما حده الزمني ؟ وإذا كان له حد زمني ، فهل يكون له متعلق بالله ؟ وهل ذلك مما يليق بكمال الله الذي لا يحصره شيء زماناً أو مكاناً ؟ ثم قال : (وكان الكلمة الله) فهي تناقض قوله : (في البدء كان الكلمة) فهل لله بدء ؟ وماذا كان قبل البدء ؟ لا يقول بهذا القول أحد من المؤمنين بالله ، والمقرين بوحدانيته ، فالله سبحانه وتعالى أول بلا ابتداء، وهو الآخر بلا انتهاء ، والظاهر والباطن ، ثم في قوله : (والكلمة كان عند الله) فماذا تعني العندية هنا ؟ كيف يتفق أن تكون (الكلمة) بدءاً بمعنى الأولية المطلقة ، ثم توصف بأنها كانت عند الله ؟ ثم كيف ترتفع هذه (العندية) وتكون (الكلمة) هي الله ، لا عند الله ؟ . هذا التناقض هو حصيلة هذا النص ، كما تنطق بذلك ألفاظه وعباراته ، أما حمله على غير هذا المحمل فهو من واردات المتأولين ، ولحسابهم(٦٦) .

ويذكر العلامة عبد الرحمن باجة جي زادة(٦٧) ـ رحمه الله ـ جوانب أخرى تكشف ما في هذا النص من إنجيل يوحنا ، من اضطراب من حيث المعنى والدلالة ، فيقول : (هذه الفقرات مع كونها باطلة من حيث المعنى ، فهي متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل ، ولا صالحة للتوجيه ، فإن قوله : (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله : (وكان الكلمة الله) فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده ؛ لأن العندية تقتضي المغايرة ؛ لأنها عبارة عن حصول شيء عند شيء كحصول المال عند زيد ، ولا شك أن المال غير زيد ، وزيد غير المال ، وهذا ظاهر لا غبار عليه ، فكيف تكون الكلمة عنده وتكون عينه ، ثم تتجسد وتكون ابنه ، والابن عين أبيه ، والأب عين الابن ، ولا أظن أن من يعرف معنى الكلمة والكلام يتفوه بمثل هذا ...

لأن الكلمة والكلام صفة للمتكلم ، والصفة لا تكون عين الموصوف، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، ولم نر في شرائع الأنبياء وكتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى عز وجل ، والأسف على قوم بنوا دينهم على هذه الكلمات التي لم يسبق مثلها على لسان أحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ، فخالف الأنبياء والمرسلين ، وتجاوز إلى مقام رب العالمين ، فجعله موطأ للذل والهوان ، وضحكة تهزأ به أو باش اليهود في كل زمان ومكان)(٦٨) .

إن الاعتقاد أن الكلمة هي ذات الله ثم حلت في المسيح وتجسدت به ، من المحال البين ؛ لأن الكلمة التي هي من صفات الله تعالى يستحيل أن تكون ذات الله ، لوجوب مغايرة الصفة للموصوف ، لا سيما والمغايرة صريحة في قوله : (والكلمة كان عند الله) فوصف الكلمة هنا بالتجسد الحقيقي باطل لابتنائه على ما هو باطل في نفسه ؛ لأن تجسد الله - على زعمهم - يعني أن الناس رأوا الله بأعينهم ، وهذا يناقض ما جاء في إنجيل يوحنا أن : (الله لم يره أحد قط)(٦٩) .

أما كون المسيح في العالم وتكوُن العالم به ، فكيف كان في العالم أو تكوَن به قبل أن يولد ؟ وكيف يكون أحد قبل أن يكون ؟ المسيح ولد حين ولد ، فكيف تكوَن العالم به ، والعالم مخلوق قبل عيسى بملايين السنين ؟ وما علاقة المسيح بتكوين العالم ؟ إن هذا يناقض التوراة التي تقول: (في البدء خلق الله السموات والأرض)(٧٠)، هذا يعني أن الله خلق السموات والأرض (أي العالم) أول ما خلق ، أي : أن الله خلق العالم قبل خلق المسيح ، ولم يكن للمسيح دخل في خلق العالم ، ثم ما معنى تكوين العالم بالمسيح، هل المسيح هو خالق العالم؟ وأين الله إذاً ؟(٧١) .

وبهذا يتحقق أن تسمية المسيح ـ عليه السلام ـ كلمة الله إنما هو بطريق المجاز ، ومعناه الحقيقي هو (كن) التي بها توجد الكائنات ، فإطلاقها على المسيح من إطلاق اسم السبب على المسبب ؛ وذلك لكونه على خلاف أفراد بني آدم ، فكان تأثير الكلمة في حقه أظهر وأكمل، وقد قال الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾(٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾(٧٣) ، فالمسيح هو الكلمة التي ألقاها الله إلى مريم وبشرها به ؛ لأنه كان عن كلمة الله (كن)، كما قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾(٧٤) .

ولعل المراد أن عندية المسيح في قول يوحنا : (والكلمة كان عند الله) ، هي عندية مكانة عالية ، ومنزلة شريفة ، وليست عندية اتصال واتحاد ، لاستحالة ذلك على الله تعالى ، وبدليل أن نصوص أسفارهم المقدسة تدل على أن هذا هو المراد منها ، إذ جاء في سفر التكوين : (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين ، وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب)(٧٥) ، وفيه أيضاً : (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء)(٧٦) ، كما جاء في القرآن الكريم عن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام : ﴿ وكان عند ربه مرضياً ﴾ (٧٧) ، وقال تعالى في وصف الشهداء : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (٧٨) ، وأخبر تعالى عن دعاء امرأة فرعون في صلاتها أنها قالت : ﴿ رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ﴾ (٧٩) ، فالعندية تعني طلب المكانة الرفيعة ، والمنزلة الشريفة .

وبهذا يتبين بطلان اعتقاد النصارى أن الكلمة هي الله ثم تجسدت في المسيح ، وأنها تدل على ألوهية المسيح ، وبطلان كل ما

http://www.al-maktabeh.com

يزعم النصارى أنه دليل على اعتقاد ألوهيتة ؛ لأن كل ما جاز في حق المسيح ، فإنه يجوز في حق غيره ، كما سيتبين ذلك في ثنايا هذا البحث ، إن شاء الله .

ثالثاً : وكما دلت نصوص أسفارهم المقدسة ، وآيات القرآن الكريم أن المسيح - عليه السلام - كلمة الله ، أي خلقه بكلمة كن فكان ، فقد دلت أيضاً على أن المسيح نبي من أنبياء الله ورسله ، فقد ذكر يوحنا في إنجيله أن المسيح - عليه السلام - حينما أجرى الله عز وجل على يديه معجزة تكثير الطعام القليل الذي أشبع الجمع الكثير من الناس من خمسة أرغفة وسمكتين ، قال: (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم ، وأما يسوع فإذ علم أنهم مجمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده)(٨٠) ، فهذا النص يدل على أن الحاضرين قبل هذا اليوم لم يكونوا مؤمنين بالمسيح إلا بعد مشاهدتهم لتلك الآية ، وعلم منه أن دعوى النصارى بألوهية المسيح شيء مفترى قد ابتدعوه بعد موت الحواريين ، ولو كان كما قالوا لقالت تلك الجموع إن هذا بالحقيقة هو الإله ، ثم لو كان الحواريون يقولون بما تقوله النصارى ، لكان الواجب عليهم أن ينازعوهم في قولهم إن هذا هو النبي الآتي ، ويردوهم إلى القول بألوهيته ، بل كان ينبغي على المسيح نفسه أن يقول لهم أنا ربكم الأعلى ؛ لأن المقصود هدايتهم لا إضلالهم ، ويكفي ذلك تكذيباً لدعوى الألوهية .

ودليل آخر من إنجيل متى إذ يقول: (وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين

اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)(٨١) .

وهذا النص اشتمل على مسألتين : الأولى : قول الكنعانية : (ارحمني يا سيد يا ابن داود) فلو كان إلهاً فكيف يسكت عن تلك النسبة ، فهل سكوته كان تصديقاً ، أو عدم مبالاة بكفرها ؟ ، والإله لا يرضى لعباده الكفر . والثانية : قول المسيح : (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) ، فهذا دليل على أنه رسول ، والرسول لابد له من مرسل ، ولا شك أن الذي أرسله هو الله عز وجل ؛ لأنه لو كان إلهاً لذكر أنه إلهٌ لخراف بيت إسرائيل الضالة ، فلما لم يقل ذلك عرف أنه بشرٌ رسولٌ .

وشاهد آخر هو حكاية المرأة السامرية مع المسيح - عليه السلام - ونصه كما جاء في إنجيل يوحنا : (قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل ، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه ، قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب ، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون ، أما نحن فنسجد لما نعلم... قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيًّا الذي يقال له المسيح يأتي ، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء ، قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو)(٨٢) ، فهذا إثبات بصراحة اللفظ من المرأة السامرية أن المسيح هو النبي الموعود به ، وقد صدقها بقوله: (أنا الذي أكلمك هو) وفضلاً عن ذلك فإنه أقر بأنه يسجد لربه وخالقه ومرسله، وذلك دلالة على بطلان دعوى ألوهيته فيه ، فلم يبق مجال لاعتقاد النصارى بالتثليث والتجسد والاتحاد والحلول ، والشواهد على ذلك كثيرة .

وقد أخبرنا كتاب الله المصدق لما بين يديه من الكتب ، أن عيسى عبد الله ورسوله ، كسائر المرسلين قبله ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٨٣) ، وقال تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ﴾ (٨٤) ، وقال تعالى : ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم - إلى قوله - إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ (٨٥) ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (٨٦) ، ثم أخبر سبحانه عن كفر من اعتقدوا فيه الألوهية ، فقال تعالى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ (٨٧) .

المطلب الثاني : مناقشة القضية الثانية :

وهي اعتقاد النصارى بوراثة الخطيئة في نسل آدم ، واعتقادهم أن المسيح هو المخلص والفادي للناس لتكفير ذنوبهم ، وزعمهم أن دليلهم على ذلك قول يوحنا في إنجيله عن المسيح : (لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم)(٨٨) ، وبالقول المنسوب إلى زكريا في إنجيل لوقا : (مبارك الرب إله إسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه)(٨٩) ، وبقول بولس : (ومخلصنا يسوع المسيح)(٩٠) ، وبقوله أيضاً : (متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح)(٩١) ، وبغير ذلك من النصوص ، التي يستخلص النصارى منها ، أن في المسيح طبيعة لاهوتية أهلته لأن يكون مخلصاً وفادياً ، فهو - على زعمهم - يخلص ويفدي بصفته إلهاً لا بصفته إنساناً ، لكن هذا الاعتقاد مردود بنصوص كتبهم المقدسة ، وبيان ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن الخلاص ضربان : خلاص جسدي ، وخلاص روحي(٩٢) :

أ - فالخلاص الجسدي : ينسب تارة إلى الله تعالى على وجه الحقيقة ، وينسب تارة أخرى على سبيل المجاز للملاك وللملوك والقواد ، بوصفهم نائبين عن الله ، فمثال الخلاص الجسدي المنسوب إلى الله تعالى على وجه الحقيقة ، قول موسى - عليه السلام - وهو يخاطب بني إسرائيل عندما رأوا البحر أمامهم وفرعون وجيوشه خلفهم : (قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم)(٩٣) ، وفي القرآن الكريم، أخبر الله تعالى عن هذا الخلاص فقال عز وجل:﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ﴾ (٩٤) .

ومثال الخلاص الجسدي المنسوب للملاك ، ما جاء في سفر الخروج: (ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق ، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته)(٩٥) ، وقول النبي أشعيا : (وملاك حضرته خلصهم)(٩٦)، ومثل ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ (٩٧) ، وقال تعالى: ﴿ وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين ﴾ (٩٨) .

ومثال الخلاص الجسدي المنسوب إلى الإنسان ، ما جاء في سفر صموئيل الأول : (أيموت يوناتان الذي صنع هذا الخلاص العظيم في إسرائيل)(٩٩) ، وفي القرآن الكريم أخبر الله أن يوسف - عليه السلام - لما ظن أن الساقي ناج ، قال له يوسف خفية عن الآخر : ﴿اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ﴾ (١٠٠) ، أي : اذكر قصتي عند ربك ، وهو الملك ، فنسي ذلك الموصى أن يذكِر مولاه الملك بذلك ، والمعنى أن يوسف طلب من الناجي أن يسأل له الملك الخلاص من السجن ، لكن الشيطان أنساه ذلك .

ب- أما الخلاص الروحي ، فإن المخلص في الحقيقة هو الله تعالى ، ويتم هذا الخلاص بواسطة الأنبياء والرسل ، لكونهم المبلغين عن الله ، ومثال ذلك قول المسيح - عليه السلام - للمرأة الخاطئة : (إيمانك قد خلصك)(١٠١) ، وقوله للمريض الذي شفاه من البرص بإذن الله : (قم وامض ، إيمانك قد خلصك)(١٠٢) ، وقوله أيضاً : (أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص)(١٠٣) ، فيتضح من ذلك أن المسيح ليس هو المخلص بذاته ، بل الإيمان به هو سبب الخلاص ، والمخلص بالحقيقة هو الله بواسطة الإيمان والأعمال الصالحة .

http://al-maktabeh.com

وهذه المزية ليست خاصة بالمسيح فقط ، بل هي مزية مخصوصة بكل رسول ، ومنحة ممنوحة لجميع الأنبياء ، وذلك لهداية الناس إلى طريق الخلاص ، وهو سبيل النجاة من النار ، والسير بهم إلى الجنة ، ومثل ذلك قول الله تعالى في صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (١٠٤) ، وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾(١٠٥) .

أما زعم النصارى أن المسيح فادياً لهم من ذنوبهم ، فباطل من نصوصهم أيضاً ؛ لأن الفداء يسند إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً ، فمثال الفداء المسند إلى الله حقيقة ، ماجاء في سفر التثنية من قول موسى عن الله: (وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر) (١٠٦) ، وقول النبي أشعيا : (لأن الرب قد عزّى شعبه فدى أورشليم) (١٠٧) ، وقول داود عليه السلام : (فديتني يا رب إله الحق)(١٠٨) ، ومثال الفداء المسند إلى غير الله مجازاً ، قول داود يصف ولده سليمان بشفقته على الفقراء : (من الظلم والخطف يفدي أنفسهم)(١٠٩) ، أي: يكون سبباً في تخليصهم ، وجاء في سفر صموئيل الأول : (فافتدى الشعب يوناثان فلم يمت)(١١٠) ، أي : خلصه الشعب ، والحقيقة أن الذي خلص يوناثان إنما هو الله تعالى ، لكن نسب الفداء إلى الشعب مجازاً .

وقد يطلق الفداء على الشيء توصلاً للخلاص من القتل في الدنيا ، ومثاله قول موسى عليه السلام : (إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه)(١١١) ، وجاء في سفر العدد : (غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان ، وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه)(١١٢) ، ومثل ذلك أن الله أخبر إبراهيم - عليه السلام - عن خلاص ابنه إسماعيل من الذبح

حين امتثل أمر ربه ، أن فداه الله بذبح عظيم ، أي : صار بدله ذبح من الغنم ، فقال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ﴾(١١٣) .

وقد يطلق الفداء على الشيء المُعطى ، توصلاً للخلاص من عذاب الآخرة ، ومثاله ما ورد في إنجيل متى من قول المسيح : (لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه)(١١٤) ، ومثل ذلك أن الله أخبر عن تمني المجرمين أن يفتدوا من عذاب الله عن أنفسهم يوم القيامة ، فقال تعالى : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه ﴾ (١١٥) ، وقال تعالى : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً لافتدوا به ﴾ (١١٦) ، ولكن هيهات بعد أن فات الأوان : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ (١١٧) .

وبهذا يتبين من هذه النصوص أن الفداء يسند إلى الله على الحقيقة ، وقد يسند إلى غير الله على سبيل المجاز ، ومن هذا القبيل فإن إسناد الفداء إلى المسيح هو على سبيل المجاز ؛ لأنه وإن لم يخلص بني إسرائيل من عبودية الرومان ، فقد جاء لخلاصهم من عبودية الشيطان والشهوات ، ومن جمودهم على المعنى الحرفي إلى المعنى الروحي ، ومن ابتداع التقاليد إلى اتباع نصوص الشريعة الموسوية ، ومن الحرج الذي كانوا فيه بتشددهم على أنفسهم إلى التيسير الذي شرعه

لهم ، ومن انغماسهم في رذيلة الخطأ والأخلاق السيئة إلى التخلق بمكارم الأخلاق الحميدة ، وذلك شأن كل نبي مع أمته .

ثانياً : أن نصوص كتبهم تجعل من كل إنسان مسؤلاً عن ذنبه ، ولا أحد يتحمل وزر غيره ، ففي التوراة: (النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون)(١١٨) .

وفي الإنجيل : (سيجازى كل واحد حسب أعماله)(١١٩) ، وفيه أيضاً : (لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه ، فإن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذٍ يجازى كل واحد حسب عمله)(١٢٠).

وفي هذه النصوص دلالة ظاهرة أن كل إنسان مجزي بعمله ، ولا يسأل عن ذنب غيره ، وفي هذا دلالة على بطلان عقيدتهم في أن المسيح رضي بما أتى عليه من الذل والهوان والصلب ليكون فداء لمن عصى ، وهل بعد التصريح بقوله : (حينئذٍ يجازى كل واحد حسب عمله) يقال : إن المسيح صار فداءً عن العالم بأسره ، فما معنى هذا الفداء إذا كان الإنسان سيجزى بعمله ؟ وما فائدة صكوك الغفران التي يمنحها الرهبان لمن يعترفون أمامهم بذنوبهم ؟ هل يعفيهم ذلك من الجزاء على أعمالهم أمام الله تعالى ؟ لن يعفيهم ذلك أبداً ؛ لأن المذنب لا مفر له من عذاب النار ، كما جاء في قول المسيح - عليه السلام - في الإنجيل : (كيف تهربون من دينونة جهنم)(١٢١) ، وهذا دلالة على أن المذنب إن لم يتب من ذنبه فإنه سيعذب بالنار ، ولن يكون المسيح فادياً له ، وفي هذا دلالة على بطلان اعتقادهم بأن المسيح أوجب على نفسه الصلب كفارة لخطايا العالم ، وإلا فيكون قول المسيح هنا عبثاً وباطلاً .

وكيف يستقيم اعتقادهم أن المسيح صلب كفارة لخطايا العالم، فهل معنى هذا نجاة الكفار والوثنيين من العذاب ؟ وإذا كان قدم نفسه فداءً عن العالم فلماذا يدعوهم للإيمان ؟ وهذا يعني أنه ليس هناك داع لإرسال الرسل مبشرين ومنذرين ما دام المسيح قد قدم نفسه قرباناً وفداء للناس جميعاً ، بعد أن كانوا من لدن آدم حتى صلب المسيح - بزعمهم - يحملون وزر أبيهم آدم ، يقول القرطبي(١٢٢) رحمه الله : (ويلزمكم على ذلك أن يكون الله تعالى لم يتب على آدم عليه السلام ، إلا بعد أن صلب المسيح ، وبذلك تكذيب كتب الأنبياء ، فإنها تقتضي أن آدم بكى على خطيئته ، ودعا الله تعالى حتى تاب عليه واجتباه ، ويلزمكم أيضاً عليه : أن يكون نوح وإبراهيم وموسى ، وما بينهم من النبيين عصاة بذنب آدم ، حتى صلب عيسى ، وحينئذٍ غفر لهم، وقد صرح بعض أقستكم - لعنه الله - أن آدم وجميع ولده إلى زمان عيسى كانوا كلهم ثاويين في الجحيم بخطيئة أبيهم ، حتى فداهم عيسى بهرق دمه في الخشبة ، فلما صلب نزل جهنم وأخرج منها جميعهم إلا يهوذا الأشكريوث (١٢٣) ، فانظر هل يستجرئ مجنون أو موسوس على أن يقول إن نوحاً وإبراهيم الخليل وموسى الكليم ، ومن بينهم من النبيين مثل يعقوب وإسحاق وغيرهما من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، كلهم في نار الجحيم والعذاب الأليم ، وفي السخط العظيم ، حتى صلب الإله نفسه وابنه . فانظر هل سب الأنبياء بأقبح من هذه الشتائم ؟ أو هل تجرأ أحد قط على أن يقول على الله وعلى رسله مثل هذه العظائم ؟ فسبحان الحليم الذي يمهلكم والكريم الذي يرزقكم، ولكن إنما يعجل من يخاف الفوت ، أو يجزع من الموت : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾(١٢٤) ، ثم يلزمكم عليه أيضاً نسبة الله إلى الجور ، وإلى

أنه يأخذ بالذنب غير فاعله ، ويعاقب على الزور غير قائله ، وهذا يهون عليكم إذ ليس للإله قدر عندكم ، إذ قد صرحتم بأن آدم ظلمه، وأنه لا يمكن أن ينتقم ممن ظلمه ، واستهان بقدره ، فياليت شعري لأي شيء لم يمكنه أن ينتقم من عبده العاجز عن ذلك ، أم لأنه لا يقدر على عقاب أحد ممن هنالك ؟ أم بحكمة أنه يعاقب غير الجاني ؟ أم لحكمة قتل ولده في جناية عبده)(١٢٥) .

ويقول الإمام القرافي (١٢٦) رحمه الله : (والعجب من هذا الإله بعد أن فعل بنفسه من الذل والهوان ما وصفتم في إرادة خلاصكم من آفات الدنيا ، فما نراه خلصكم ، بل أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبع البشر ، تعلمون وتموتون وتقتلون بكل واد ، ويجري عليكم ما يجرى على جميع بني آدم ، فإن كان أراد خلاصكم من التكاليف والمطالبات بالعبادات فأبحتم المحرمات لدفع الآثام عنكم ، فما نراه أيضاً جعل له ذلك ، بل أنتم بإقراركم باقون على أحكام التكليف ، مؤاخذون بجملة أفعالكم ، ولولا ذلك لكان ينبغي أن يكون الذين قتلوا إلهكم - على زعمكم - وقتلوا حواريه وأحرقوا أسفاره غير خاطئين ولا آثمين ؛ لأن إلهكم حمل عنهم خطاياهم ، لأنهم من جملة الناس ، وقد قلتم : إنه نزل من أجلنا نحن يا معشر الناس ، وكذلك من قتل منكم وسرق وزنا وفسق وركب سائر الذنوب ، يجب على هذا القول أن لا يكون مؤاخذاً بخطيئته ، ولا مأثوماً على فعله ، وإن كان أراد خلاصكم من عذاب الآخرة وما يجرى على العباد يوم القيامة ، فإنجيلكم يكذب هذا القول ، ويخبر أن الخلائق بعد المسيح موقوفون يوم القيامة ، مسؤولون عن أعمالهم، مؤاخذون بجرائر أفعالهم)(١٢٧)، وقد تقدم ذكر هذه الأدلة .

http://al-maktabeh.com

وبهذا يتبين بطلان هذا الاعتقاد ، وأنه مما افتراه النصارى على ديانة المسيح - عليه السلام - زوراً وبهتاناً ، فالمسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه ، كما ذكره الله عز وجل في قوله : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾(١٢٨) .

المطلب الثالث : مناقشة القضية الثالثة :

وهي اعتقاد النصارى أن قول أشعياء : (ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل)(١٢٩) ، الذي تفسيره في الإنجيل : (الله معنا) (١٣٠)، ويزعمون أن العذراء المقصود بها مريم ، وأن (عمانوئيل) الذي تفسيره (الله معنا) المقصود به المسيح ، وأن هذا - على زعمهم - يدل على ألوهيته، ويرد عليهم بأن هذا التأويل باطل، وبيان ذلك فيما يأتي:

١) العذراء : بالمد معناها في لغة العرب : المرأة البكر ، أي المرأة التي لم يمسها رجل ، والجمع عذارى بفتح الراء وكسرها(١٣١) ، وهي في هذا النص ، كما قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب : (مترجمة عن العبرية ، وليس لها في العبرية هذا المدلول الحرفي للعذرية بمعنى البكارة ، وقد قرر (دافيدستروس) أحد علماء اللغات في القرن الماضي ، أن الكلمة المترجمة (بالعذراء) في هذه الآية معناها (المرأة)، ولكن العالم الإنجليزي (جيمس أور) والأستاذ (دشيان) أستاذا اللغة العبرية في جامعة أكسفورد قالا : (إن هذه الكلمة هي في الأصل العبري (غلما) أي (غلامة) أو فتاة في سن الزواج ،

أو بالحري عذراء ، وواضح من هذا أن كلمة (عذراء) ليست هي المعنى المباشر للكلمة العبرية ، وإنما هي إحدى لوازم هذا المعنى ، إذ الترجمة الحرفية للكلمة العبرية هي (غلامة) أو فتاة في سن الزواج ، ومن لوازم الفتاة أن تكون عذراء، وليس هذا اللازم بالحتم المقضي به، فقد تكون (الغلامة) عذراء ما دامت في سن الشباب والفتاء)(١٣٢) ، فالبشارة الواردة في هذا النص لا تدل على أن العذراء المقصود بها مريم أم المسيح - عليهما السلام - وبالتالي فإن النص لا يدل على أن (عمانوئيل) المقصود به المسيح ، الذي يزعم النصارى أن تفسيره (الله معنا) الذي يريدون أن يتوصلوا به إلى مرادهم في اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام .

وهذا لا ينفي أن التوراة بشرت بالمسيح - عليه السلام - بل ورد فيها الكثير من النصوص التي بشرت به ، وقد أولها النصارى وفق ما يتفق مع اعتقادهم الباطل على عادتهم في تأويل النصوص بما يتفق مع ضلالهم عن الحق .

٢- أن أصل النص الأصلي في نبوءة أشعيا قال : (وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل) ، وجاء في إنجيل متى محرفاً عن النص الأصلي ، فقد ذكره هكذا : (ها العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا)(١٣٣) ، فالأصل في نبوءة أشعيا هو (وتدعو) أي: الشابة أو الفتاة المتعلقة بها النبوءة هي التي (تدعو) وليدها (عمانوئيل) وليس الناس هم الذين يدعونه بهذا الاسم كما جاء حسب رواية إنجيل متى .

كذلك جاء حسب رواية كاتب إنجيل متى عدة تناقضات بشأن تسمية المسيح : الأول : أن القول بشأن تسمية المسيح صدر من

ملاك الله إلى يوسف خطيب مريم الذي أراد تخليتها سراً ؛ لأنها وجدت حبلى ، فظهر له ملاك الله في حلم وأمره أن يأخذها : (لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع) (١٣٤) ، فهذا النص يفيد أن ملاك الله أخبر يوسف أن مريم ستلد ابناً وتسميه يسوع . الثاني : ثم ناقض كاتب الإنجيل نفسه وقال : (وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل ، هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا)(١٣٥) ، فهذا النص أشار إلى نبوءة أشعيا ونسي كاتب الإنجيل أن المسيح سمي يسوع من قبل ملاك الله . الثالث : ثم أكد كاتب الإنجيل مرة ثانية على تسمية المولود بيسوع ، فقال : (فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع)(١٣٦) ، فهذا النص تأكيد على أن يوسف سمى المولود بالاسم الذي أخبره به ملاك الله .

أما حسب رواية إنجيل لوقا ، فإن القول بشأن تسمية المسيح صدر من ملاك الله جبرائيل إلى مريم التي أرسل إليها من الله ، وبشرها بالحمل بالمسيح ، فقال: (وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع) (١٣٧) ، فهي التي تسمي مولودها يسوع وليس يوسف ، ولم يأت فيه ذكر : (ويدعون اسمه عمانوئيل إلي تفسيره الله معنا) الذي انفرد به كاتب إنجيل متى، نقلاً عن نبوءة أشعيا ، الذي اختلف معه فيمن يسمي المولود ، وهذا الاختلاف يدل على أن نبوءة أشعيا لا علاقة لها بالمسيح - عليه السلام - كما أن إنجيل متى وإنجيل لوقا اتفقا أن مصدر تسمية المولود هو ملاك الله ، واتفقا

أيضاً أن يطلق على المولود اسم يسوع ، واختلفا فيمن صدر إليه أمر ملاك الله بإطلاق اسم يسوع على المسيح - عليه السلام - فإنجيل متى نسب صدور أمر الملاك إلى يوسف ، وإنجيل لوقا نسب صدور أمر الملاك إلى مريم .

كما أن المسيح عليه السلام ما سماه أحد (بعمانوئيل) أصلاً ، لا يوسف خطيب مريم ولا أمه بل كان يسمى يسوع ، والملك قال ليوسف في الرؤيا حسب رواية إنجيل متى: (وتدعو اسمه يسوع) (١٣٨) ، وحسب رواية إنجيل لوقا أن جبريل قال لأمه : (ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع)(١٣٩) ، ولم يدع عيسى - عليه السلام - باسم عمانوئيل في حين من الأحيان . قال مؤلف الفارق بين المخلوق والخالق نقلاً عن رحمت الله الهندي(١٤٠) رحمه الله : (والقصة التي وقع فيها هذا القول في السفر المذكور (يعني سفر أشعيا) تأبي أن تكون مصداقاً على عيسى عليه السلام ، لأنها هكذا : أن راصين ملك آرام ، وفاقاح ملك إسرائيل ، جاءا إلى أورشيلم لمحاربة أحاز بن يوثان ملك يهوذا ، فخاف خوفاً شديداً من اتفاقهما ، فأوحى الله إلى أشعيا أن تقول لتسلية أحاز : لا تخف ، فإنهما لا يقدران عليك ، وستزول سلطنتهما ، وبيّن علامة خراب ملكهما أن امرأة شابة تحبل وتلد ابناً ، وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر ، وقد ثبت أن أرض فاقاح قد خربت في مدة إحدى وعشرين سنة من هذا الخبر ، فلابد أن يتولد هذا الابن قبل هذه المدة ، وتخرب الأرض قبل تمييزه ، وعيسى عليه السلام تولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها ، وقد اختلف أهل الكتاب في مصداق هذا الخبر ، فاختار البعض أن أشعياء عليه السلام يريد بالمرأة زوجته ، ويقول : إنها

ستحبل وتلد ابناً ، وتصير أرض الملكين اللذين تخاف منها خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر)(١٤١) .

٣. أن استدلالهم بكلام أشعيا أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، هذا الاستدلال باطل ، يقول الإمام ابن تيمية(١/١٤٢) رحمه الله : (ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، وأنها ولدت خالق السموات والأرض . بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض ، فإنه قال (تلد ابناً) وهذه نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء : إن فلانة ولدت ابناً ، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ، ليس هو خالق السموات والأرضين ، ثم قال : (ويدعى اسمه عمانوئيل) فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ، ويسمى به ، كما يسمي الناس أبنائهم بأسماء الأعلام أو الصفات التي يسمونهم بها ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه ، ومنها ما يكون جملة يحكونها ، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمي ابنه عمانوئيل . ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ، ويذكرون في ذلك قصة جرت . ومنهم من يقول : بل المراد بها مريم ، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين : إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة ، فإن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح ، والمسيح نفسه لم يبق معهم ، بل رفع إلى السماء ، ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة ، كما قال تعالى : ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾(٢/١٤٢) ، وقال تعالى : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾(١٤٣)، وهذا أظهر ، وإما أن

http://al-maktabeh.com

يكون يسمى المسيح إلهاً كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون، أي هو الآمر الناهي له المسلط عليه ، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة فقال : معناها الله معنا ، فقال من رد عليهم من علمائهم يقال لهم : أهذا هو القائل أنا الرب ولا إله غيري وأنا أميت وأنا أحيي ، أم هو القائل لله : إنك أنت الإله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح ؟ وإذا كان الأول باطلاً والثاني هو الذي شهد به الإنجيل وجب تصديق الإنجيل وتكذيب من كتب في الإنجيل أن (عمانوئيل) تأويله (الله معنا) بل تأويل عمانوئيل (معنا إله) وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم ، بل عمانوئيل اسم يسمي به النصارى واليهود من قبل النصارى ، وهذا موجود في عصرنا هذا في أهل الكتاب من سماه أبوه عمانوئيل معنى (شريف القدر) ، قال : وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانوئيل ، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة ، ويقال للرجل في الدعاء : الله معك . فإذا سمي الرجل بقوله (الله معك) كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم ، وإذا قيل إن المسيح سمي (الله معنا) أو (إلهنا معنا) ونحو ذلك ، كان ذلك دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه)(١٤٤).

٤. أن عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ـ على فرض أنه بشارة بالمسيح ـ فإنه لا يدل على ألوهية المسيح كما يعتقد النصارى ، فإن معناه كما يقول الحسن بن أيوب: (اسم يعاره السيد الشريف من الناس، وإن كان الله عز وجل المنفرد بمعنى الإلهية جل ثناؤه ، فقد قال الله في التوراة لموسى عليه السلام : (وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً) (١٤٥) ، وقال في موضع آخر : (فقال الرب لموسى : انظر أنا

جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك)(١٤٦) ، وقال داود في الزبور لمن كانت عنده حكمة : (أنا قلت إنكم آلهة ، وبنو العلي كلكم)(١٤٧) ، فإن قلتم : إن الله عز وجل جعل موسى إلهاً لهارون على معنى الرياسة عليه ، قلنا : وكذلك قال أشعياء في المسيح إنه إله لأمته على هذا المعنى ، وإلا فما الفرق ؟ فإن قلتم : إن المسيح قد قال في الإنجيل : (الذي رآني فقد رأى الأب)(١٤٨) ، وقال : (أنا والأب واحد)(١٤٩) ، وقال : (والذي يراني يرى الذي أرسلني)(١٥٠) ، قلنا : إن قوله : (وأنا وأبي واحد) إنما يريد به أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله ، كما يقول رسول الرجل : أنا ومن أرسلني واحد ، ويقول الوكيل : أنا ومن وكلني واحد ؛ لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه ، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته ، ويطالب بحقوقه، وكذلك قوله: (من رآني فقد رأى أبي) يريد بذلك أن من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي ... وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه على أنه غير واقع لحقه ، وإنما حقه أن يكون هذا الاسم يعنى (عمانوئيل) لما وقع على المسيح كان معناه أنه أخبر عن نفسه بأن (إلهنا معنا) يعني أن الله معه ، ومع شعبه معيناً وناصراً ، ومما يصحح ذلك أنكم تتسمون به ، ولو كان المعنى ما ذهبتم إليه لما جاز لأحد أن يتسمى به، كما لم يجز أن يتسمى بالمسيح لأنه مخصوص بمعناه)(١٥١) .

وبهذا يتبين لنا أن اعتقاد النصارى أن هذه البشارات تدل على ظهور الله أو ابن الله من عذراء ويدعى اسمه (عمانوئيل) الذي تفسيره الله معنا ، هذه البشارات ليس بينها وبين المسيح وميلاده أية صلة . كما

يرى البعض - وعلى فرض أن لها صلة بالمسيح ، فإنها لا تدل على المعنى الذي يعتقده النصارى دليلاً على ألوهية المسيح ، وإنما تدل على معية الله لخلقه ، وأنه سبحانه معينٌ لهم وناصرٌ ، ومحيط بجميع الخلق من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، في العلم والقدرة والتدبير والسلطان ، وغير ذلك من معاني الربوبية ، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به ، فليس كمعية المخلوق للمخلوق ، بل هي أعلى وأكمل ، ولا يلحقها من اللوازم والخصائص مايلحق معية المخلوق للمخلوق ، فلا يراد من المعية كون الله معنا بذاته - كما يعتقد النصارى - فإن هذا محال عقلاً وشرعاً ؛ لأنه ينافي ما وجب من علوه ، ويقتضي أن تحيط به مخلوقاته ، وهو محال ، وهذا المعنى هو الذي جاء كتاب الله المصدق لما بين يديه من الكتب ببيانه في قوله سبحانه: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (١٥٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (١٥٣) ، وقوله تعالى: ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾(١٥٤).

المبحث الثاني

اعتقادهم أن المسيح ابن الله ومساواته بالله

يعتقد النصارى أن المسيح ابن الله ، وأنه مساوٍ لله في الطبيعة الإلهية ، فقد جاء في قانون إيمانهم المقدس : (ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء)(١٥٥)، ويزعمون أن نصوصهم المقدسة تدل على ذلك ، وبيان ذلك والرد عليه من نصوصهم نفسها فيما يأتي :

المطلب الأول : اعتقادهم أنه ابن الله :

يعتقد النصارى أن ميلاد المسيح - عليه السلام - من غير أب سرٌ من أسرار الله ، وبداية جديدة في البشرية ، وأن ميلاده من عذراء يعني - على زعمهم - إدماج يسوع المسيح الذي هو الله نفسه في الوجود البشري ، وأن هذه الطريقة الخاصة التي تفرده في دخوله إلى عالمنا ، هي أن المسيح المعلن يولد من عذراء بطريقة لا يمكن شرحها أو فهمها بطريقة علمية أو بيولوجية ؛ لأن المولود من عذراء - في زعمهم - هو الله ، الذي في ملء حريته ومحبته أصبح طفلاً رضيعاً ، ولكنه ظل على ما كان عليه قبل أن يوجد في بطن مريم العذراء ، أي الله الذي ما زالت نواميس الطبيعة خاضعة له وطوع أمره ، وبهذا السلطان ولد المسيح من عذراء (١٥٦) .

http://al-maktabeh.com

و يستشهدون على اعتقادهم أنه الله ، وابن الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ بنصوص كتابهم المقدس ، التي ورد فيها على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ إطلاق لفظ الأبوّة على الله ، والبنوة على المسيح ، مثل قوله : (ليس أحد يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له)(١٥٧) ، وغير ذلك من العبارات التي يدل ظاهرها على تجوز المسيح في إطلاقه ما يوهم الإلهية والبنوة على نفسه ، التي يزعم النصارى أنها تؤيد معتقدهم ، يقول القس وديع ميخائيل : (لم يكن إذن هناك أي شك في معنى كلمات الرب يسوع ، فحين قال : (أبي.. وأنا) فهو قد نطق بما لم يجرؤ مخلوق على النطق به ، وعمل ما لم يجسر مخلوق على عمله، عمل ما لم يحلم بعمله إبراهيم، أو موسى، أو داود ، أو دانيال ، فهو قد وضع نفسه على نفس المستوى مع الله وقد أدرك سامعوه أنه كان معادلاً نفسه بالله)(١٥٨) انتهى كلامه ، تعالى الله عن قولهم .

هذا الإعجاز في قدرة الله عز وجل في ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ من غير أب ، جعلوه أحد براهينهم لاعتقادهم أنه ابن الله ، وأنه إله مع الله ، تعالى الله عن قولهم .

ودعواهم هذه مردودة بنصوص كتابهم المقدس ، وبنصوص وحي الله المنزل على خاتم المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن إطلاق المسيح ـ عليه السلام ـ على الله لفظ الأب ، لا يعني أن المسيح ابن الله ، ولا يعني أنه اكتسب الطبيعة الإلهية من الله ـ كما

يعتقدون. وإلا لكان قد اكتسب هذه الصفة من سبقه من الأنبياء وغيرهم من البشر ، وبيان ذلك :

١. أنه قد ورد في العهد القديم الإطلاق على الله أنه أب لكل بني إسرائيل ، فقد جاء على لسان موسى. عليه السلام. أنه قال لبني إسرائيل : (أليس هو أباك ومقتنيك ؟ عملك وأنشأك)(١٥٩) ، وقال النبي أشعيا : (وأنت يارب أنت أبونا نحن الطين وأنت جبلتنا ، وكلنا عمل يديك)(١٦٠) ، وقال أيضاً : (فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يعلم بنا إسرائيل ، أنت يارب أبونا وليّنا منذ الأبد أسمك)(١٦١) ، وجاء في سفر أرميا أن الله قال : (لأني صرت لإسرائيل أباً)(١٦٢) ، وفي سفر الملوك الأول أن الله قال : (الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي، وإن كنت سيداً فأين هيبتي ؟ قال لكم رب الجنود) (١٦٣) ، وجاء في سفر المزامير أن الله قال لداود : (هو يدعوني أبي ، أنت إلهي وصخرة خلاصي)(١٦٤) وقال الله لداود أيضاً : (أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هو يبني بيتاً لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ، أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً)(١٦٥) ، وجاء على لسان داود أن الله : (أبو اليتامى وقاضي الأرامل ، الله في مسكن قدسه)(١٦٦) ، وفي العهد القديم أيضاً ، أن الله أخبر عن مكانة سليمان. عليه السلام. فقال : (أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً)(١٦٧) ، وأن الله قال عنه أيضاً : (هو يبني بيتاً لاسمي وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً) (١٦٨) .

٢. كما جاء في العهد الجديد ، أن المسيح. عليه السلام. أطلق على الله أنه أب للمؤمنين من أتباعه ، فقال. عليه السلام. : (ولا تدعو

لكم أباً على الأرض ؛ لأن أباكم واحد الذي في السموات ، ولا تدعو معلمين ؛ لأن معلمكم واحد : المسيح)(١٦٩) ، وقال أيضاً : (فكونوا رحماء كما أن أباكم - يعني الله - أيضاً رحيم)(١٧٠)، وقال أيضاً : (فلا تطلبوا أنتم ماتأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه ، بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تراد لكم ، لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سرَّ أن يعطيكم الملكوت)(١٧١) ، وقال المسيح أيضاً : (فإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم)(١٧٢) ، إلى غير ذلك من أقوال المسيح عليه السلام(١٧٣) .

وجاء في الإنجيل أن المسيح - عليه السلام - ساوى بينه وبين أتباعه من المؤمنين في إطلاق لفظ الأب على الله له ولهم ، وأن الله إلهه وإلههم وهم عباده ، فقال - عليه السلام - : (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(١٧٤) ، فدل هذا النص على عدم اختصاص المسيح بنسبة البنوَة لله ، بل ساوى بينه وبين أتباعه في أبوَة الله لهم، وأن الله عز وجل إلههم جميعاً .

وجاء في رسالة من يسمونه بولس الرسول ، أنه قال : (والله نفسه أبونا)(١٧٥) ، وقال أيضاً : (والله أبونا الذي أحيانا)(١٧٦)، كما أطلق بولس على الله أنه أب لكل عبد بار يفعل مشيئة الله ، فقال : (إله وأب واحد للكل ، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم)(١٧٧) .

ومن هذه النصوص من أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، يتبين أن إطلاق لفظ الأبوَة على الله جائز في شرائع الأمم السابقة ، وأن المراد من ذلك حنان الله وقربه من عباده ، وليس المراد أبوَة الله للناس على الحقيقة بأن الله له ولد - تعالى الله عن ذلك - أو تكون لهم خاصية من خصائص الله تعالى ، كما تبين أن المسيح - عليه السلام - لم يختص بهذه الأبوَة دون سواه ، أو أنه بذلك قد اكتسب صفة الألوهية من الله - تعالى الله عن قولهم - أو أنه على زعمهم ابن الله ، بل المراد من هذه النصوص أن الله أب لكل الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين .

ويدل هذا الإطلاق على أن ذلك جائز في الشرائع السابقة قبل الإسلام ، أما في شريعة الإسلام فلم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة إطلاق لفظ الأبوَة على الله تعالى ، ولعل ذلك - والله أعلم - حتى لا تقع هذه الأمة التي هي خير الأمم ، فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، من تأويل كلام الله ، والوقوع في الشرك والضلال ؛ لأنه في علم الله تعالى أن الأمم السابقة قد ضلت بسبب هذا التأويل الباطل لكلام الله تعالى .

ثانياً : أن زعم النصارى اختصاص المسيح - عليه السلام - أنه ابن الله ، أو المولود من الله ، وأن ذلك - على زعمهم - أحد براهين ألوهيته ، هذه العبارات الواردة في الإنجيل لا يراد بها على الإطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين المسيح ، كما لا يقصد بها ولادة المسيح أو تناسله من الله تناسلاً بيولوجياً كالذي يحدث بين الخلق ، وليس المراد بها انفراد المسيح وحده ببنوة الله ، وإنما المراد بذلك قرب المسيح من الله تعالى ، ومكانته الخاصة التي شرفه الله بها ، ويشترك في هذا القرب الإلهي مع المسيح كافة أنبياء الله ورسله وملائكته وعباده الصالحين .

ومن يطالع نصوص أسفارهم المقدسة يجد أن إطلاق صفة البنوة والولادة لا تعني المعنى الحرفي، وإنما أطلقت بكثرة على المعنى المجازي، وهو القرب من الله ، وبيان ذلك فيما يأتي :

١. جاء في أسفار العهد القديم ، أن آدم ويعقوب وداود وسليمان ـ عليهم السلام ـ وغيرهم ، دعوا أبناء الله ، بل لقد أطلق على بعضهم لفظ ابن الله الوحيد إمعاناً في قربه من الله ، إذ جاء في التوراة عن يعقوب عليه السلام : (هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر) (١٧٨) ، كما دعي داود ابن الله : (هو يدعوني أباً وأنا أيضاً أجعله ابني) (١٧٩) ، وأن الله قال لداود : (وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً)(١٨٠) ، وجاء أيضاً بشأن داود : (إني أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك ، اسألني فأعطيك ، الأمم ميراثاً لك ، وأقاصي الأرض ملكاً لك)(١٨١) ، كما دعي سليمان عليه السلام ابن الله : (وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً)(١٨٢) ، وأطلقت على المؤمنين من أتباع نوح ـ عليه السلام ـ أنهم أبناء الله : (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل من اختاروا) (١٨٣)، فالله سبحانه وتعالى في التوراة أباً لكل الخلق، أباً للأنبياء ، وأباً للملائكة ، وأباً للمؤمنين ، يقول داود عليه السلام : (أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في موضع قدسه) (١٨٤) ، كما جاء إطلاق لفظ أبناء الله على جميع بني إسرائيل (١٨٥) ، إلى غير ذلك من نصوص العهد القديم التي جاء فيها إطلاق لفظ البنوة لله (١٨٦) .

http://al-maktabeh.com

كما جاء في نصوص العهد القديم ، جواز إطلاق لفظ أولاد الله على ذرية آدم - عليه السلام - فقد جاء في سفر التثنية أن موسى - عليه السلام - قال : (أنتم أولاد الرب إلهكم)(١٨٧) ، وأخبر داود - عليه السلام - أن الله قال له : (أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك)(١٨٨).

٢ - وجاء في أسفار العهد الجديد ، أن آدم - عليه السلام - ابن الله فقد جاء في إنجيل لوقا : (ابن آدم ابن الله)(١٨٩) ، وجاء فيه أيضاً إطلاق لفظ ابن الله على الملائكة : (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله)(١٩٠) ، فقد دعوا أبناء الله وهم في رسائل بولس أعلى قدراً من المسيح ، حيث يقول : (الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة)(١٩١) ، كما أطلق على عامة الناس أنهم أبناء الله ، حيث ورد الكثير من النصوص أن الله أباً للخلق ، يقول المسيح عليه السلام : (لا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات)(١٩٢)، ودعا - عليه السلام - أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم لله قائلين : (أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك)(١٩٣)، وفي رسالة بولس: (كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف ، بل أخذتم روح التبني) (١٩٤) ، ويقول المسيح - عليه السلام - : (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)(١٩٥) ، وقال أيضاً : (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(١٩٦) .

كما جاء في نصوص العهد الجديد ، جواز إطلاق لفظ أولاد الله على المؤمنين من أتباع المسيح - عليه السلام - إذ جاء في إنجيل يوحنا: (وأما الذين قبلوه (أي المسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنين باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ولا

من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله)(١٩٧) ، وفي عدة مواضع أخرى من هذا الإنجيل (١٩٨) ، وجاء في رسالة بطرس الأولى : (مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي)(١٩٩) ، وجاء في رسالة يوحنا الأولى : (أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله)(٢٠٠) ، وفي مواضع أخرى عدة من رسالة يوحنا الأولى (٢٠١) .

فهذه الشواهد من أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، تدل على جواز إطلاق لفظ بنوُة بني آدم لله وأنهم أولاد الله ، وتدل على عدم اختصاص المسيح - عليه السلام - بذلك كما يعتقد النصارى وليست هذه العبارات خاصة بأحد معين من بني آدم ، ولا يراد بها بنوُة الولادة والنسل، بل المراد بنوُة مجازية يحصل عليها كل مؤمن بالله ، عامل بوصاياه ، وأن كل البشر هم أبناء الله ، فلا خصوصية فيه للمسيح عليه السلام(٢٠٢) ، ولا لأحد من أتباعه المؤمنين ، فهذا الوصف المذكور في أسفار العهد الجديد ، كما وصف به المسيح ، فهو أيضاً وصف عام لكل إنسان آمن بالمسيح - عليه السلام - وبالحق الذي أنزل الله عليه ؛ وكما أن هذه العبارات المراد منها إذا أطلقت أنها تعني المؤمن البار ، فإن لفظ الأب يطلق كذلك على الله ، فالمراد به حنان الله على خلقه وعنايته بهم ، وبمعنى الرب المالك المتصرف في خلقه ، ووجود مثل هذه العبارات لا نكير عليه ، بل النكير تأويل المعنى الذي لا يطابق كتب الله ولا العقل ، والعجب أنهم يقولون في المسيح مالا يقولونه في غيره ، علماً أنه اشترك هو وغيره من الأنبياء وسائر المؤمنين في هذه الألفاظ حرفاً بحرف ، إذ إن يعقوب (إسرائيل) يطلق عليه في التوراة ابن

الله البكر ، فيكون أحق من غيره بالتقديم ، وآدم أحق منهما ؛ لأنهم يقرون أنه ابن الله ، ومن روح الله ، وخلقه بيده ، إلى غير ذلك ، تعالى الله أن يكون له ولد : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (٢٠٣) ، ويكفي لإبطال اعتقاد النصارى ألوهية المسيح ، ما يتلونه في إنجيلهم من أن المسيح - عليه السلام - مولود من مريم ، خرج منها من مخرج اشترك فيه سائر بني آدم ، ورضع لبن أمه إلى أن ترعرع وكبر ، وثبت عندهم أنه أُسلم إلى المعلم ، وتعلم قبل أن جاوز الثلاثين من عمره ، وكان خلال ذلك يأكل ويشرب ، ويستريح ويتعب ، ويصح ويمرض ، وتعتريه سائر الأعراض البشرية ، إلى أن نزل عليه روح القدس الذي هو جبريل ، وبلغه الرسالة ، وآتاه الله تعالى الكتاب وهو الإنجيل الحقيقي ، المطهر من سائر ما يقدح في ذات الله تعالى وصفاته ، ومن سائر ما يقدح في مقام المسيح وإخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبعدما كان نبياً كانت تعتريه سائر الأعراض البشرية ، ويدعو الله في حالتي السراء والضراء ، ويسجد لمولاه ويوحده بالعبادة ، ويستعين به عند الشدائد ، حتى إن الأناجيل تذكر أنه كان يحتاج لأن يركب الجحش والأتان ، وأنه كان يظن نفسه ابن يوسف النجار ، وأنه لا يعلم متى تقوم الساعة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في أناجيلهم .

ثالثاً : وكما تبين امتناع أن يكون المسيح ابناً لله ، أي مولود من الله بالأدلة النقلية ، فإنّ ذلك ممتنع أيضاً عقلاً ، ووجه ذلك : أن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته ، فولده أما أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون ، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه قائماً بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر ، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة ؛ لأن المولودية تشعر بالفرعية والحاجة ، وإن كان

ذلك المولود ممكن الوجود لذاته ، فحينئذٍ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته ، ومن كان كذلك فيكون مخلوقاً لا ولداً ، فثبت أن من عرف الإله حقيقة المعرفة امتنع أن يثبت له الولد ، ثم إن الولد يحتاج أن يقوم مقام والده بعد فنائه ، وهذا إنما يعقل في حق من يفنى ، أما من تقدس عن ذلك فلا يعقل الولد في حقه ، ثم إن الولد لابد أن يكون متولداً من جزء من أجزاء الوالد ، وهذا لا يعقل إلا في حق من يكون مركباً ، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه ، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الصمد الواجب لذاته محال ، ثم إن هذا في حق امتناع الولد على الله مطلقاً مع عموم من يقول بذلك .

وأما النصرانية التي تقول إن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة ، فنقول مسلم لكم ذلك ، إلا أن الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب ، فقد حدث ودخل في الوجود ، ويقال لهم إما أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى أنه أحدثه على سبيل الإبداع من غير نطفة والد ، وإما أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى كما يكون الإنسان ولداً لأبيه ، وإما أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى أمراً ثالثاً مغايراً لهذين المفهومين . أما الأول : فباطل ؛ لأنه تعالى يحدث الحوادث في مثل هذا العالم الأسفل بناء على أسباب معلومة ، والنصارى يسلمون أن العالم جميعه محدث ، فيلزمهم الاعتراف بأنه تعالى خالق السموات والأرض من غير سابقة مادة ، فإذا كان كذلك وجب أن يكون إحداثه للسموات والأرض إبداعاً ، فإبداعه لعيسى عليه السلام مثله ، ولو وجب أن يكون والداً بهذا الإبداع ، للزم أن يكون والداً للسموات والأرض ، لكونه أبدعهما كإبداع عيسى . وأما الثاني : وهو أن يكون مرادهم من الولادة الأمر المعتاد في الحيوانات فهذا أيضاً باطل ؛ لأن تلك الولادة لا تصح إلا ممن

كانت له صاحبة وشهوة ، وينفصل عنه جزء ويحتبس في الرحم ، وهذا لا يثبت إلا في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق وغيرهما من الأعراض ، وذلك على خالق العالم محال . وأما إثبات الولد لله تعالى بناء على أمر ثالث مغاير لهذين المفهومين ، فذلك باطل ، لأنه غير متصور ولا مفهوم عقلاً ، فثبت بالبداهة بطلان ما ذهبت إليه النصارى (٢٠٤) .

رابعاً : أن النصارى يسلمون أن آدم - عليه السلام - خلق من غير ذكر ولا أنثى ، وأن حواء خلقت من ذكر بدون أنثى ، وهم يقولون إن عيسى ولد من غير أب ، ويعتقدون أن هذا الإعجاز في ميلاده من غير أب استحق به الألوهية ، ونقول لهم هل كل مولود من غير أب يستحق الألوهية ؟ .

إن كان ذلك كذلك فكل من تقدم عيسى حسب عقيدتكم يكون إلهاً ، فخلق آدم - عليه السلام - أعظم أعجازاً من خلق المسيح ، وكذلك حواء فهي أيضاً أعظم إعجازاً من خلق المسيح ؛ لأنها ولدت من ذكر دون أنثى .

والنصارى حين تخلف عنصر الذكورة في خلق المسيح جعلوه دليلاً على الاعتقاد أنه ابن الله ، وأنه إله مع الله - تعالى الله عن قولهم - فيلزم من ذلك حسب اعتقادهم في المسيح ، أن يكون آدم وحواء أحق بالألوهية من المسيح ، وهم مع هذا لا يقولون بألوهية آدم وحواء ، فإذا بطل تأليههما ، فيلزم منه بطلان ألوهية المسيح ، فليست ولادة عيسى من غير أب دليلاً لرفعه إلى مقام الألوهية ، وليس أمر خلقه من أنثى بدون ذكر بأعجب من خلق أدم مع تخلف العنصرين: الذكورة والأنوثة ، ولا بأعجب من خلق حواء ، بل خلق حواء من ذكر دون أنثى أدخل في

http://al-maktabeh.com

باب العجب والإعجاز من خلق عيسى ـ عليه السلام ـ من أنثى بدون ذكر، ووجه العجب هنا أن الأنوثة هي محل التولد ، وأما الذكورة فليست هي محلاً للتولد والحمل والوضع ، وعلى هذا فإننا نرتب هذه الظواهر الثلاث ترتيباً تنازلياً فنبدأ بالأدخل في باب الإعجاز ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، فيكون الترتيب صحيحاً ، لا يستطيع منصف عاقل أن يختلف معنا حوله ، إلا إذا تخلى عن عقله ، والترتيب هو : أن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بدون أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق من عداهم من البشر من ذكر وأنثى ، فخلق آدم أعلى درجات الإعجاز وأعجبها ، ثم خلق حواء ، ثم خلق عيسى ، ثم الذي يليه في الترتيب خلق الناس جميعاً(٢٠٥) .

وبهذا يتبين أن تمسك النصارى بأن ولادة عيسى الإعجازية دليل على أنه إله ، مع وجود هذه العلة في خلق آدم على وضع لم يعرف لغيره ، ووجدت في خلق حواء على وضع هو أدخل في باب الإعجاز من وجودها في خلق عيسى ـ عليه السلام ـ تمسك النصارى بهذا دون غيره باطل وفاسد ؛ لأن هذا القياس دليلٌ لا يستطيعون إنكاره ، وإلا لكان غيره ممن سبقه أحق منه بالألوهية .

خامساً : أن الله عز وجل أخبرنا أنه خلق عيسى بن مريم مثل خلقه لآدم ـ عليه السلام ـ قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾(٢٠٦) ، يعني تبارك وتعالى أن خلق الله لعيسى من غير أب مثل خلقه لآدم من تراب ، ثم قال له كن فكان ، من غير أب ولا أم ، فليس خلقي عيسى من أمه من غير أب ، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى ، فكان لحماً(٢٠٧) ، ثم أخبر سبحانه أنه خلق المسيح بكلمته أي بأمره ، قال تعالى : ﴿ إنما

المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ (٢٠٨) ، قال الحسن وقتادة وجماعة من المفسرين : (وكلمته) هو : كقوله (كن فيكون) ، (وكلمته) عطف على رسول الله أي : مكون بكلمته وأمره الذي هو (كن) من غير واسطة أب ولا نطفة (٢٠٩) ، وهو الكلمة التي ذكرها الله في قوله سبحانه : ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ﴾ (٢١٠) ، فإنه تعالى ذكره يعني بالكلمة : الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها بشارة من الله لها(٢١١) ، ويقول القرطبي : وقيل (كلمته) بشارة الله تعالى مريم عليها السلام، ورسالته إياها على لسان جبريل عليه السلام ، وذلك قوله: ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ﴾ (٢١٢) .

ثم أخبر سبحانه أن روح عيسى منه سبحانه (وروح منه) أي نفخة منه ، وروح عيسى ابن مريم كانت من تلك الأرواح التي استخرجها الله واستنطقها تبارك وتعالى ، من صلب آدم ـ عليه السلام ـ وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم وإلههم ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ﴾ (٢١٣) ، وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالى (٢١٤) ، وجبريل ـ عليه السلام ـ نفخ روح عيسى فيه بأمر الله إياه بذلك : (فنسب إلى أنه روح من الله)(٢١٥) ؛ لأن النفخ فيه من روح الله ، ولأن نفخ الروح كان بأمر الله تبارك وتعالى أمر به الروح الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ نعمة من الله ، وتأييداً منه ، على عيسى بن مريم ووالدته ، كما قال سبحانه : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ﴾ (٢١٦) .

ووجه اختصاص إضافة روح عيسى إلى الله في قوله: (وروح منه) وقوله: ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ ؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما

هو ناشيء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، قال ابن أبي حاتم : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ قال : (ليس الكلمة صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى)(٢١٧) ، وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن عبادة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل)(٢١٨) ، فقوله في الآية والحديث : ﴿ وروح منه ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ (٢١٩) ، أي: من خلقه ومن عنده ، وليست (من) للتبعيض كما تقوله النصارى ، بل هي لابتداء الغاية. وقال مجاهد في قوله: ﴿ وروح منه ﴾ أي : رسول منه ، وقال غيره : ومحبة منه ، والأول أظهر ، وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة ، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف ، كما أضيف الناقة والبيت إلى الله في قوله : ﴿ هذه ناقة الله ﴾ (٢٢٠) ، وفي قوله : ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ (٢٢١) ، وكما ثبت في الحديث الصحيح : (فأستأذن على ربي في داره)(٢٢٢) ، أضافها إليه إضافة تشريف ، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد(٢٢٣) .

سادساً : إن هذا الإعجاز الإلهي في خلق المسيح - عليه السلام - من أم بلا أب ، آية من آيات الله الدالة على عظيم سلطانه ، وقدرته تعالى على ما يشاء ، قال تعالى: ﴿ ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ (٢٢٤) ، يقول ابن كثير : (أي : دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوّع في خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى

إلا عيسى ، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه) (٢٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ (٢٢٦) ، وقال تعالى: ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ (٢٢٧) ففي هاتين الآيتين : أن الله جعل مريم وابنها عبرة لأهل زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما ، فيعلمون عظيم سلطان الله وقدرته على ما يشاء ، وحجة على الناس للدلالة على الله وعلى عظيم قدرته على إنشاء الأجسام من غير أصل ، كما أنشأ خلق عيسى من غير أب (٢٢٨) .

لكن النصارى ضلوا عن الحق في أمر المسيح وأمه - عليهما السلام - فغلوا فيهما وفي دينهم وقالوا على الله غير الحق ، فارتكبوا ، كما قال ابن قيم الجوزية (٢٢٩) رحمه الله : (محذورين عظيمين ، لا يرضى بهما ذو عقل ، ولا معرفة :

أحدهما : الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه، وإلهاً آخر معه ، ونفوا أن يكون عبداً له .

والثاني : تنقُّص الخالق وسبه ، ورميه بالعظائم ، حيث زعموا أنه - سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً - نزل من العرش عن كرسي عظمته ، ودخل في فرج امرأة ، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو ، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن ، ثم خرج من حيث دخل ، رضيعاً صغيراً يمص الثدي ، ولف في القمط ، وأودع السرير ، يبكي ويجوع ، ويعطش ويبول ويتغوط ، ويحمل على الأيدي والعواتق ، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه ، وربطوا يديه ، وبصقوا

في وجهه ، وصفعوا قفاه ، وصلبوه جهراً بين لصين ، وألبسوه إكليلاً من الشوك ، وسمروا يديه ورجليه ، وجرَّعوه أعظم الآلام ، هذا وهو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم ، وهو المعبود المسجود له . ولعمر الله إن هذه مسبة لله سبحانه ماسبه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم ، كما قال تعالى ، فيما يحكى عنه رسوله الذي نزهه ونزه أخاه المسيح عن هذا الباطل ، الذي : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ﴾ (٢٣٠)، فقال: (شتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، أما شتمه إياي ، فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد، ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته)(٢٣١) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في هذه الأمة : (أهينوهم ولا تظلموهم ، فلقد سبوا الله عز وجل مسبة ماسبه إياها أحد من البشر). ولعمر الله ، إن عباد الأصنام، مع أعداء الله عز وجل على الحقيقة ، وأعداء رسله عليهم السلام ، وأشد الكفار كفراً يأنفون أن يصفوا آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى - وهي الحجارة والحديد والخشب - بمثل ما وصفت به هذه الأمة رب العالمين ، وإله السموات والأرضين ، وكان الله تعالى في قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بذلك ، أو بما يقاربه ، وإنما شرك القوم : أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة ، وزعموا أنها تقربهم إليه ، لم يجعلوا شيئاً من آلهتهم كفواً له ولا نظيراً ولا ولداً ، ولم ينالوا من الرب تعالى ما نالت منه هذه الأمة)(٢٣٢) .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - في موضع آخر : (ولقد كان يجب لله سبحانه - لو سبق في حكمته أنه يبرز لعباده وينزل عن كرسي

http://al-maktabeh.com

عظمته ويباشرهم بنفسه - أن لا يدخل في فرج امرأة ، ويقيم في بطنها بين البول والنجو والدم عدة أشهر، وإذ قد فعل ذلك ، لا يخرج صبياً صغيراً ، ويرضع ويبكي ، وإذ قد فعل ذلك ، لا يأكل مع الناس ويشرب معهم وينام ، وإذ قد فعل ذلك ، فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع عن الخرأة إذ هي منقصة ابتلي بها الإنسان في هذه الدار لنقصه وحاجته ، وهو تعالى المختص بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت الجلال ، الذي ما وسعته سمواته ولا أرضه ، وكرسيه وسع السموات والأرض ، فكيف وسعه فرج امرأة ، تعالى الله رب العالمين ، وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام)(٢٣٣) .

والنصارى في معتقدهم هذا قد خالفوا الأصول التي اتفقت عليها جميع النبوات من أولها إلى آخرها ، وهي : أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ، ولاند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه ، وأنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة ، وأنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه ، وأنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم ، والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك ، وأنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته ، بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ـه لا يحل في شيء من مخلوقاته ، ولا يحل في ذاته شيء منها ، بل هو بائن عن خلقه بذاته ، والخلق بائنون عنه ، وأنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء ، وعال على كل شيء ، وليس فوقه شيء البتة ، وأنه قادر على كل شيء ، فلا يعجزه شيء يريده بل هو الفعال لما يريد ، وأنه عالم بكل شيء ، يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما كان وما يكون مالم يكن لو كان كيف كان يكون (وما تسقط من ورقة إلا

يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ﴾ (٢٣٤) ، لا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته ، وأنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات ، وبصره بجميع المبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات ، ونفذت مشيئته في جميع البريات ، وعمت رحمته جميع المخلوقات ، ووسع كرسيه الأرض والسموات ، وأنه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده ، أو يعاونه عليها ، أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم ، وأنه الأبدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت ، وأنه المتكلم الآمر الناهي ، قائل الحق وهادي السبيل، ومرسل الرسل ومنزل الكتب ، والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ، ومجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، وأنه الصادق في وعده وخبره ، فلا أصدق منه قيلاً ، ولا أصدق منه حديثاً ، وهو لا يخلف الميعاد ، وأنه تعالى صمد بجميع الصمدية ، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته ، وأنه قدوس سلام ، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص ، وأنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وأنه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلماً ، فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل ، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ، ولا يخبر نبي بخلافه أصلاً ، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابه من المعاني والمجمل من الألفاظ، وأقوال من ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة(٢٣٥) .

المطلب الثاني : اعتقادهم مساواته مع الله :

يعتقد النصارى أن الله واحد في ثلاثة أقانيم هم : الأب والابن والروح القدس ، وأنها أقانيم إلهية لها طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد ، وأن الأقنوم الثاني - المسيح - صورة كاملة للأقنوم الأول ، مساوياً له في الطبيعة والجوهر ، ويمثله لا تمثيلاً عرضياً خيالياً ، وإنما تمثيلاً ذاتياً حقيقياً وتاماً(٢٣٦) .

يقول القمص ميخائيل جرجس : (كما أن الأب أزلي يجب أن يكون الابن أيضاً أزلياً ؛ لأن كل ما نراه في الأب يجب أن يكون بلا جدال في الابن ... والأب أزلي ، فالابن أيضاً أزلي ، لأن به أتت الدهور إلى الوجود ، الأب واحد كائن ، وبالضرورة يجب أن يكون الابن كائناً ، الأب قادر على كل شيء ، والابن أيضاً قادر على كل شيء ، الأب نور والابن شعاع ونور حقيقي ، الأب إله حق والابن إله حق ... فمن ذا الذي لا يمكنه أن يدرك بأن الابن ينبغي أن يكون مساوياً للأب في الجوهر ، نظراً لأنه لا يوجد شبه بينه وبين المخلوقات ، بل له كل ما للأب ، وهو الكلمة المماثل للأب ويسلك كل الخواص التي تخص الأب، مساوٍ للأب في الجوهر ومن نفس جوهر الأب)(٢٣٧) .

ويستشهد النصارى على اعتقادهم مساواة المسيح مع الله ، بنصوص كتابهم المقدس ، التي جاء فيها إطلاق لفظ العلم والخلق والإحياء على المسيح - عليه السلام - وإطلاق لفظ المساواة بينه وبين الله ، مثل ما نسب إليه من قوله : (ليس أحد يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له)(٢٣٨)، وقوله : (الذي رآني فقد رأى الأب ... ألست تؤمن أني أنا في الأب، والأب في)(٢٣٩) ، وقوله : (كل ما للأب هو لي)(٢٤٠) ، ونصوص أخرى يزعمون أنها

تدل على مساواة المسيح مع الله في صفة العبادة، والقدرة على كل شيء، والأزلية ، والدينونة ، ومغفرة الخطايا ، وخلاص العالم ، وغير ذلك من النصوص التي يزعمون أنها تدل على طبيعة المسيح الإلهية(٢٤١) تعالى الله عن قولهم .

هذا الاعتقاد في المساواة بين المسيح وبين الله ، هو عقيدة جميع طوائف النصارى التي أقرت عقيدة التثليث في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ، وهي العقيدة التي ما زالوا عليها حتى يومنا هذا .

والنصارى إنما عولوا في إثبات معتقدهم ، اعتماداً على النصوص الدالة على التجوُز في إطلاق المسيح على نفسه ما يوهم إلهيته ، واتحاده مع الله ، وغير ذلك مما سبق الاستشهاد به والإحالة إليه في مصادرهم .

وقد نكصت أفهام النصارى - لقصورها - عن معرفة النصوص الدالة على إنسانية المسيح المحضة ، والجمع بينها وبين النصوص المثيرة لهم شبهاً ، فعموا وضلوا عن الحق ، في معرفة الخالق عزوجل وإفراده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، الذي أنزله الله في الوحي منذ أول ما نزل على أول الرسل ، حتى آخر الوحي نزولاً وهو القرآن الكريم المنزل على خاتم المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم .

ولبيان سبب ضلالهم ، سنذكر بعض النصوص المثيرة لهم شبهاً ، ثم نذكر النصوص الدالة على إنسانية المسيح المحضة ، وذلك بترك النصوص الموافقة للمعقول على ظواهرها ، وتأويل النصوص المخالفة للمعقول واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة ، ووجوب ردها إلى المجاز ،

وأما إذا تعارضت النصوص ، فدل بعضها على إثبات حكم ، وبعضها على نفيه ، فلا نتركها متعارضة ، إلا إذا أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع بينها ، وامتناع جعلها متظافرة على معنى واحد ، وبيان ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن ما جاء منسوباً إلى المسيح - عليه السلام - من أقوال في ظاهرها الإلهية والاتحاد مع الله ومساواته ، إنما المراد بها المجاز وليس الحقيقة ، ويدل على أن المسيح أراد بها المجاز ، أن اليهود لما أنكروا عليه حين قال: (أنا والأب واحد)(٢٤٢) ، وتناولوا حجارة ليرجموه ، ظانين بأنه أراد بذلك مفهومه الظاهر ، فيكون إلهاً حقيقة ، استفهم منهم المسيح عن سبب ذلك ، فقال : (أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي ، بسبب أي عمل منها ترجمونني)(٢٤٣) ، فقالوا : (لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً) (٢٤٤) ، فبادر المسيح إليهم بالقول مصححاً لهم هذا الفهم الخاطيء ، مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز ، ثم أبان لهم التجوُز ، بضربه لهم المثل، فقال : (أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة ، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب ، فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله)(٢٤٥) ، فالمسيح - عليه السلام - قد دفع اتهام اليهود له بالتجديف بضربه المثل لهم من كتابهم الذي بين أيديهم ، فأخبرهم أن الله قد أطلق على الكهنة والقديسين لفظ آلهة ؛ لأنهم صارت إليهم كلمة الله ويقضون باسمه ، ويشير بذلك إلى قول داود - عيه السلام - للكهنة والقديسين ، ونصه : (أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون)(٢٤٦) ، فالمسيح استشهد بقول داود المذكور آنفاً ، ليبين لليهود ما يأتي :

http://al-maktabeh.com

١) أن المراد بالآلهة : الرؤساء ؛ لأن هذا اللفظ مترجم بالعبرانية ، وليس المراد به الآلهة التي تعبدها الناس وتتخذها أرباباً ، وهو خطاب من الله تعالى للقديسين الذين سماهم الله آلهة وأبناء الله ، فكأنه يقول لهم : لا تظنوا بسبب وصفكم بذلك أنكم صرتم أرباباً من دون الله ، بل أنتم كما تعرفون من أنفسكم تموتون كما يموت الناس ، وتسقطون كما يسقط الرؤساء والأمراء ، فتبين لك أيها الرشيد أن عيسى باستشهاده في هذا الحديث أقر على نفسه بأنه لم يقصد بأقواله أنه هو الله أو مساوٍ له ، بل أراد أن الله قدّسه وأرسله كما قدس القديسين وأرسلهم من قبله وجعلهم آلهة وأبناء آلهة ، فهو مثلهم ولا فرق بينه وبينهم ، وبه نفى عن نفسه ـ عليه السلام ـ مانسبته إليه اليهود ، فلذا قال لهم كما قال الله للكهنة آلهة ؛ لكونهم كلمات الله أي عاملين بها محافظين عليها ، وعيسى قال كما قالوا ، فلهذا قال لهم : لماذا ترجمونني لكوني قلت لكم كما قال ناموسكم ، ويؤيد هذا التفسير ما في سفر الخروج من التورية ... ونصه: (فقال الرب لموسى انظر، أنا جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك ، أنت تتكلم بكل ما آمرك) (٢٤٧) ، ومع هذا التصريح لم يدع موسى الألوهية ، بل كان يسمي نفسه عبدالله ، وقومه كذلك ، وإلى الآن يسمونه عبدالله في صراحة توراتهم(٢٤٨) .

٢) أن المسيح ـ عليه السلام ـ صرح في هذا النص بجهة المجاز ، بقوله : (إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله) ، يقول الإمام الغزالي(٢٤٩) ـ رحمه الله ـ في بيان المجاز في هذا النص : (لأن الكلمة صارت إليهم ، ومحال أن يريد بالكلمة لفظاً ذا حروف ،

وإنما يريد بالكلمة سراً من الله يهبه لمن يشاء من عباده ، يحصل لهم به التوفيق إلى ما يصيرهم غير مباينين لله عزوجل ، بل يصيرهم لا يحبون إلا ما يحبه ، ولا يبغضون إلا ما يبغضه ، ولا يكرهون إلا ما يكرهه ، ولا يريدون إلا ما يريده من الأقوال والأعمال اللائقة بجلاله ، فإذا أصارهم التوفيق إلى هذه الحالة ، حصل لهم المعنى المصحح للتجوُز ، ويدل على صحة هذا التأويل الصارف إلى المجاز المذكور ، أنه ـ عليه السلام ـ احترز عن إرادة ظاهر هذا النص الدال على الاتحاد ، بقوله: (فيكم ـ بالحري ـ الذي قدسه وأرسله)، فصرح بأنه رسول ، متبرئاً من الإلهية التي تخيل اليهود أنه ادعاها ، مثبتاً لنفسه خصوصية الأنبياء ، وعلو درجاتهم على غيرهم ، ممن ليسوا أنبياء بقوله : (فيكم ـ بالحري ـ الذي قدسه وأرسله) ، أي : قد شاركتكم في السبب المجوز ، وفضلتكم بمراتب النبوة والرسالة ، ولو لم يكن ما ضربه لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ ، لكان ذلك مغالطة منه وغشاً في المعتقدات المفضي الجهل بها إلى سخط الإله ، وهذا لا يليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلى الحق ؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز للأنبياء ، كيف وفي كتبهم أنه أرسل لخلاص العالم ، مبيناً ما يجب لله ، وما يستحيل عليه ، وإنما يكون مخلصاً للعالم إذا بين لهم الإله المعبود ، فإن كان هو الإله الذي يجب أن يعبد ـ وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل ـ فيكون قد أمرهم بعبادة غيره ، وصرفهم عن عبادته ، والتقدير أنه هو الإله الذي يجب أن يعبد ، وذلك غش وضلالة لا يليق بمن يُدَعى فيه أنه أتى لخلاص العالم ، بل لا يليق بمن انتصب للإرشاد والهداية من آحاد الأمم ، فضلاً عمَن صرح بأنه رسول ، هادٍ ، مرشدٌ ، فإن قيل : إنما ضرب لهم المثل مغالطة ، ليدفع عن نفسه ما

يحذره من شرهم ، قلنا : الخوف من اليهود لا يليق بمن يدّعى فيه أنه إله العالم وموجد الكائنات ، فليت شعري ماذا يقول المعاند بعد أن لاحت له هذه الحقائق أوضح من فرق الصبح، وكيف يتقاعد عن تأويل هذا النص وتأويل أمثاله ، ويخبط خبط عشواء ، وصاحب شريعته نفسه قد أوّله) (٢٥٠) .

وبهذا يتضح أن ما فهمه اليهود من معنى كلام المسيح ليس في محله ، لذلك خطأهم المسيح على هذا الفهم بضربه لهم المثل بقول داود ؛ لأنه إذا كان داود قد أطلق على هؤلاء الكهنة والقديسين (آلهة وأبناء العلي) ولم يقل أحد أنه جدف ؛ لأنهم لم يأخذوا بظاهر اللفظ ، فكذلك لا ينبغي على اليهود أن ينكروا على المسيح قوله ، وأن ينسبوا إليه الكفر والتجديف .

وهذا الفهم الخاطيء لمراد المسيح - عليه السلام - من جانب اليهود في عصره ، هو نفس الفهم الخاطيء الذي اعتنقه النصارى بعد رفع المسيح حين ضلوا عن الحق ، وظلوا على فهمهم الخاطيء في كثير من الأقوال الصادرة عن المسيح على وجه المجاز ، وما زالوا على ذلك حتى اليوم .

ثانياً : أن ما جاء عن المسيح - عليه السلام - من أقوال ظاهرها رؤية الله والاتحاد معه ومساواته ، مثل قوله : (الذي رآني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب ، ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيّ ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني أنا في الأب والأب فيّ)(٢٥١)،فقوله:(الذي رآني فقد رأى الأب)، وقوله: (أنا في الأب والأب فيّ)، وقوله: (الأب

الحال في) ، هذه الأقوال لا تدل على أن مراد المسيح من مساواة الرؤية مع الله ، أن تكون دليلاً على مساواته مع الله واتحاده معه ، فهذا أيضاً من المجاز الذي اشتهر عن المسيح ، إذ ليس مراده حقيقة الرؤية التي كانت سبب اعتقاد النصارى مساواة المسيح مع الله ؛ لأن رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم ، كما دل على ذلك قول المسيح - عليه السلام - في إنجيل يوحنا : (والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته)(٢٥٢) ، وقال يوحنا في إنجيله : (الله لم يره أحد قط)(٢٥٣) ، وقال في رسالته : (إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب ؛ لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره)(٢٥٤) ، وقال أيضاً : (الله لم ينظره أحد قط)(٢٥٥) ، وقال بولس في رسالته : (الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه ، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية)(٢٥٦) .

كما ورد في أسفار العهد القديم ، استحالة رؤية الله في الدنيا ، فقد جاء في خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام : (لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)(٢٥٧) ، وتصديق ذلك ما أخبر الله عزوجل في القرآن الكريم ، أن موسى قال : ﴿ رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ (٢٥٨) .

فإذا تقرر ذلك فليس معنى قول المسيح عليه السلام : (الذي رآني فقد رأى الأب) ، أن الذي يرى المسيح بعين الجسد يرى ذات الله ، أو يدل على مساواة المسيح مع الله ؛ لأن هذا طبقاً للأدلة السابقة من المحال.

بل المراد أن الذي يرى المسيح يرى ما أراد الله إعلانه بواسطته من أقوال وأفعال ، وبعبارة أخرى يتضح من البراهين السالف الإشارة إليها أن ذات الله ليست من المرئيات قط ، ولما كان المسيح قد أعلن صفات الله وإرادته ومقاصده ، كان من رأى المسيح بمعجزاته يرى قدرة الله تعالى ورحمته .

ومن رأى المسيح بأخلاقه كحنانه على المرضى ، ورغبته في خلاص الهالكين ، وتواضعه للمساكين ، رأى عفو الله تعالى وحلمه على الخطاة ، وإمهاله على المذنبين ، ومحبته للتائبين(٢٥٩) .

وهكذا يتضح أن مراد المسيح أن من رآه فقد رأى الله ، ليس على الحقيقة وإنما على المجاز ؛ لأنه إذا كان الله - كما دلت النصوص - لا يرى ، وكانت رؤيته مستحيلة ، دل على أن مراد المسيح ليس ظاهر النص ، ووجب تأويله ، واعتقاد أن حقائقه ليست مرادة ، ووجب إذ ذاك رده إلى المجاز .

ثالثاً : أن المسيح - عليه السلام - كما قال في حق نفسه مما يفهم منه المساواة والاتحاد مع الله ، فقد قال أيضاً في حق حواريه وأتباعه مثل ذلك ، مثل قوله : (في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم)(٢٦٠) ، وقوله : (ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني)(٢٦١) فقوله: (وأنتم في وأنا فيكم) ، وقوله : (ليكون الجميع واحداً) وقوله : (ليكونوا

http://al-maktabeh.com

واحداً كما أننا نحن واحد)، وقوله: (ليكونوا مكملين إلى واحد)، فظاهر هذا القول يدل على اتحادهم مع الله ، وقد سـوَى في قوله : (ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد) ، بين اتحاده بالله وبين اتحادهم فيما بينهم ، وظاهر أن اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقياً ، فكذا اتحاده بالله ، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة ، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام،وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف، فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره ، والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى ، قول يوحنا في رسالته الأولى : (وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة ، إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق، ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض)(٢٦٢).

ومما يؤكد أن هذه العبارات الواردة على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ المراد بها المجاز ، أنه كشف غطاء الشبهة مبيناً جهة المجاز بقوله: (وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد) ، أي : أن ذلك المجد ينظِم شملهم ، فتقع أفعالهم جُمعٌ متظافرة على طاعتك ، ومحبة ما تحبه ، وبغض ما تبغضه ، وإرادة ما تريده ، فيصيرون كرجل واحد ، لعدم تباين آرائهم وأعمالهم ومعتقداتهم ، كما نحن واحد ، أي : كما أنا معك واحد ؛ لأن مجدك الذي أعطيتني جعلني لا أحب إلا ما تحبه ، ولا أريد إلا ما تريده ، ولا أبغض إلا ما تبغضه ، ولا أكره إلا ما تكرهه ، ولا يصدر مني عمل ولا قول إلا وأنت راضٍ به ، وإذا ثبت أن هذه حالته مع الإله ، دل على أن من

أطاعه ، فقد أطاع الإله جل اسمه ، ومن أطاع الإله فقد أطاعه ، وهذا شأن الأنبياء والمرسلين(٢٦٣) .

كذلك جاء عن بولس الرسول في رسائله أقوال مراده منها المجاز، مثل الذي نسب إلى المسيح ، كقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس : (أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم)(٢٦٤) ، وقوله : (وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ، فإنكم أنتم هيكل الله الحي ، كما قال الله إني ساكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً)(٢٦٥) ، وقوله في رسالته إلى أهل أفسس : (إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم)(٢٦٦) .

فلو كان الحلول مشعراً بالاتحاد ومثبتاً للألوهية ، للزم أن يكون الحواريون بل جميع أهل كورنثوس وكذا جميع أهل أفسس آلهة ، بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريباً من أقربائه ، فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب إلى الأعلى مجازاً ، ولذلك قال المسيح - عليه السلام - في حق الحواريين : (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني)(٢٦٧) ، وقال في حق الولد الصغير : (من قبل هذا الولد باسمي يقبلني ، ومن قبلني يقبل الذي أرسلني)(٢٦٨) ، وقال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد : (الذي يسمع منكم يسمع مني ، والذي يرذلكم يرذلني ، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني)(٢٦٩) ، ومثل ذلك ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ﴾ (٢٧٠) .

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله ، وأما حلول الغير في الله أو حلول الله فيه ، وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه ، فعبارة عن إطاعة أمرهما ، بدليل قول يوحنا في رسالته : (ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه ، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا)(٢٧١) .

رابعاً : وإذا تبين أن النصوص التي أطلقت على المسيح - عليه السلام - مما يوهم اتحاده مع الله ومساواته له ، يجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة ، ووجب ردها إلى المجاز ، فإن النصوص الدالة على إنسانية المسيح المحضة ، تؤخذ على ظاهرها ؛ لأنها تتفق مع صريح المعقول وصحيح المنقول ؛ لأنها جعلت من هذه النصوص المتعارضة ، متظافرة على معنى واحد ، وهو أن المسيح عبد الله ورسوله ، أي أنه إنسان مخلوق كبقية البشر ، ولا أدل على خلقه أعظم من كونه ولد من مخلوق مثل بقية الخلق ، لكنه تميز عن غيره من الخلق ، أن الله خلقه كما خلق آدم ، كما قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٢٧٢) ، فكما خلق الله آدم من غير ذكر ولا أنثى ، فقد خلق الله عيسى من أنثى بلا ذكر ، أي : إذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ، من غير ريث ولا إبطاء ، قال تعالى : ﴿ كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ (٢٧٣) .

والنصوص من أسفار النصارى المقدسة ، الدالة على أن عيسى إنسان مثل غيره من البشر ، وأنه عبدالله ورسوله ، كثيرة جداً ، ولذا سأكتفي بذكر بعض النصوص الدالة على إنسانية المسيح المحضة ، دون ذكر الدلائل البشرية الأخرى التي وردت في ثنايا موضوعات هذا البحث ، ومن ذلك :

١- أن ملاك الله جبريل أرسل بالبشارة من الله إلى مريم ، فقال لها : (وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع)(٢٧٤) ، فالمسيح كان حملاً في بطن مريم ، مرت عليه مراحل التكوين التي يمر بها سائر الأجنة ، ثم حان زمن وضعه ، فولدته أمه كما يولد أي إنسان ، وأصبح ابناً لمريم لأنها والدته ، وأمرت أن تسميه يسوع ، وهذه الأحوال من الحمل والولادة ، ونسبة المولود إلى والديه ، وتسميته ، لا تكون إلا لبني الإنسان من ذرية آدم .

٢- أن المسيح وُلد بعد تمام مدة الحمل المعتادة عند بني جنسه من الناس ، وولد جنيناً كما يولد غيره ، وعاش فترة الرضاعة والطفولة كغيره من الناس ، ففي الإنجيل : (وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود ، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل)(٢٧٥) ، فبعد تمام فترة الحمل ، ولدت مريم ابنها البكر ، وأرضعته كما ترضع الأم مولودها ، فكان يصرخ جوعاً فتلقمه ثديها ، ويبكي ضجراً فتهدهده في حجرها ، يغوط ويتبول فتغسله وتنظفه ، وتزيل عنه اتساخه وتعيده إلى هندامه ، وتلفه في المهاد ، ويحتاج إلى النوم والراحة فتضجعه في مذود البقر وتسهر بجانبه ، فقد خلق من بعد أن لم يكن شيئاً ، ونما وترعرع ؛ لأنه ابن لمريم الإنسان ، وابن الإنسان إنسان .

٣- ذكرت الأناجيل أن الملائكة أعلنوا الخبر للرعاة ، عن ميلاد المسيح ، ففي الإنجيل : (فقال لهم الملاك ... إنه ولد لكم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب ، وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في المزود ... فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود)(٢٧٦) ، فالملائكة جاءوا بخبر المولود

عن الله تعالى ، وأن الرعاة وجدوا المولود كما أخبرتهم عنه الملائكة طفلاً مقمطاً مضجعاً في المذود ، وهذه الصفات لا تختلف عن صفات أي مولود آخر ، فالمولود مخلوق من إنسان مخلوق مثله ، ومن هذه صفته فهو إنسان مثل بقية البشر .

٤ - أن المسيح بعد ولادته أجري له الختان ، الذي هو سنة من سنن التوراة المشروعة في بني إسرائيل من عهد إبراهيم عليه السلام ، ففي الإنجيل : (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن)(٢٧٧) ، كما قدم عنه عقيقة وهي شريعة أخرى من شرائع التوراة ، ففي الإنجيل: (ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب : أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب ، ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب ، زوج يمام أو فرخي حمام)(٢٧٨) ، فقد خضع مثل غيره لأحكام شريعة التوراة التي منها الختان وذبح العقيقة ، وتسمى مثل غيره من الأطفال ، فهو ليس بدعاً يختلف عن غيره من الناس ، لكن الله اصطفاه بالرسالة كما اصطفى من قبله من الأنبياء والرسل .

٥ - أن المسيح لما بلغ عمره اثنتا عشرة سنة ، ذهبت به أمه ويوسف الذي تقول عنه الأناجيل خطيب مريم ، ذهبوا به إلى هيكل أورشليم كالعادة لحضور مناسبة عيد الفصح ، ثم تخلف المسيح عن الرجوع معهما إلى الناصرة دون علمهما ، ظناً منهما أنه بين الرفقة ، ولما علما أنه ليس معهما ، رجعا إلى أورشليم : (وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم)(٢٧٩) ، فالمسيح جلس بين المعلمين يطلب العلم ، يسمع المعلمين ويسألهم ،

فلو كان عالماً لما جلس يطلب العلم ، فهو يطلب علماً عن غيره كان خافياً عليه من قبل ، وإن كنا نحن المسلمين نعتقد بوجوب العصمة للأنبياء من الجهل ، ولكن من كانت هذه صفته - حسب إنجيلهم - فهو كغيره من الناس .

٦- أن المسيح لما بلغ سن الثلاثين ، وقبل أن ينزل عليه الوحي ، ذهب إلى يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) يطلب منه أن يعمده بالماء كعادة الكثير من بني إسرائيل الذين يأتون إليه لينالوا معموديته توبة إلى الله وإقراراً بوحدانيته : (ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَ ، فأجاب يسوع : اسمح الآن ، لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذٍ سمح له ، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه ، وصوت من السماء قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)(٢٨٠) ، وهذا صريح في أن المسيح بشر مخلوق لله تعالى ، وأنه قبل أن يأتي إلى يوحنا لم يكن الوحي ينزل عليه ، وأن أول ما نزل عليه الوحي بواسطة روح الله أي جبريل ؛ لأن الله سماه بذلك كما تشهد به كتبهم ، وأول ما بلغه عن الله تعالى أنه هو الابن الوحيد الذي كان به سرور الله تعالى ، والابن من العبارات المجازية التي وصف نفسه وغيره بها ، كما تبين ذلك في ثنايا هذا البحث .

ويدل على نبوة المسيح ورسالته ، أنه ذهب من الخليل إلى الأردن ليتعمد من يوحنا وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل ، ويعني تعميد يوحنا للمسيح هو تلقينه الإقرار بالوحدانية لله تعالى ، ولرسل الله بالرسالة وسائر ما يجب الإيمان به ، وهذا لا يعني أننا نحن

المسلمين نعتقد الجهل بالمسيح في تلك العقيدة قبل أن يتعمد ؛ لأننا نعتقد بوجوب العصمة للأنبياء من الجهل ، إلا أن سنة الله في خلقه اقتضت أن يرشد عباده بتعليم بعضهم بعضاً ، وهذا دليل قوي على إقرار المسيح بالعبودية لمولاه ، لأنه مثل سائر البشر ، ولو كان إلها - كما يعتقد النصارى - لما تعمد من يوحنا وهو الخالق ليوحنا وفعله ، فهل يعقل أن يستكمل البر الذي هو التعميد من رسوله ومخلوقه يوحنا ، وهذا يدل على بشرية المسيح المحضة ، وبطلان عقيدتهم بألوهية المسيح عليه السلام(٢٨١) .

٧- جاء في الأناجيل ذكر محاولة إغواء إبليس للمسيح ، ففي إنجيل متى : (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس ، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً ، فتقدم إليه المجرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أن يوصي ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك ، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراه ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي ، حينئذٍ قال له يسوع : اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس)(٢٨٢) ، هذه القصة التي أثبت فيها النصارى محاولة إبليس لإغواء المسيح ، فيها إثبات لعبودية المسيح بكونه يصوم أحياناً ويعتريه الجوع أحياناً ، وهذه صفات البشر ، ثم إن في عرضه

على إبليس ليجرب أقوى شاهد على عبوديته ، وهل يعقل أن من يكون إلهاً يعرض نفسه على المطرود من رحمة الله ليجربه ؟ ولو كان إلهاً - كما يزعمون - فما معنى جواب المسيح - عليه السلام - بقوله لإبليس : (مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك) ، فأين ذلك من دعواهم أنه إله ؟ وأين هم من قول إبليس للمسيح بعد أن أراه ممالك العالم ومجدها ، أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي ، فهل يعقل أن إبليس الذي هو أحقر مخلوق لله تعالى ، يتجاسر على الإله بأن يطلب منه السجود لنفسه ؟ .

ثم إن في قول المسيح لإبليس : (اذهب عني يا شيطان ؛ لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)(٢٨٣) ، فهذا من المسيح إقرار بأنه بريء من الألوهية ، ولو كان إلهاً لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول ، وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله لا يسجد أحد إلا له تبارك وتعالى ، وهذا تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم ، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشيطان في الوسوسة الباطنية الخفية ، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجودله من دون الله، وهذه مجاهرة جلية ، ولا شك أنها من اختلاق كتّاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح عليه السلام(٢٨٤) .

٨- أن أناجيل النصارى ، ورد فيها الكثير من العبارات الصريحة التي وصف المسيح بها نفسه ، ووصفه بها قومه وأتباعه ، بأنه إنسان مثل غيره من البشر ، ومن ذلك قول المسيح : (لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله)(٢٨٥) ، فقد

صرح في هذا النص بالإنسانية بقوله : (وأنا إنسان) ، وصرح بالرسالة ، وأنه لا يفعل إلا ما أمر به بقوله : (قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) ، أي : كما أمرني الله ، فأنا أبلغ الحق الذي أنزله الله ، وتكرر وصفه لنفسه بأنه ابن الإنسان في مواضع عدة من أناجيلهم(٢٨٦) .

وكان تلاميذ المسيح وأتباعه المؤمنين ، لايرون في عيسى إلا إنساناً مثلهم ، إلا أن الله اصطفاه بالنبوة والرسالة ، فيقول بطرس عنه : (يسوع الناصري رجل تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده)(٢٨٧) ، ويقول عنه اثنان ممن آمنوا به : (يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب)(٢٨٨) ، وقال عنه الجموع الكثيرة لما سمعوا قوله: (هذا بالحقيقة هو النبي)(٢٨٩) ، وقالت عنه المرأة السامرية : (يا سيدي أرى أنك نبي)(٢٩٠) ، وقال عنه بولس : (الإنسان يسوع المسيح)(٢٩١)، وغير ذلك من النصوص في هذا المعنى(٢٩٢).

وقد عاش المسيح طبيعة البشر من الأكل والشرب ، ففي إنجيل يوحنا : (فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً ، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب)(٢٩٣) ، ولا شك أن الأكل والشرب يترتب عليهما الحاجة إلى خروجهما من السبيلين بحكم الطبيعة البشرية .

كما كان ينام ويرتاح ، ففي إنجيل متى : (وكان هو نائماً ، فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نهلك) (٢٩٤)، وكان لا يستطيع قطع المسافات ماشياً على رجليه فيحتاج إلى دابة ليركبها ، فقد أحضر له تلاميذه جحشاً : (وأتيا به إلى

يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع)(٢٩٥) ، وكان يحزن ويتألم ويبكي ، ففي إنجيل لوقا : (وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض) (٢٩٦) ، وفي إنجيل يوحنا : (فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون وانزعج بالروح واضطرب ، وقال أين وضعتموه ، قالوا له يا سيد تعال وانظر ، بكى يسوع ، فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه)(٢٩٧) .

وبهذا يتبين بالبراهين اليقينية إنسانية المسيح المحضة ، لثبوت لوازمها وملزومياتها وذاتياتها ، من الاجتنان في الرحم ، وميلاده بعد الحمل ، وأحوال الطفولة من الرضاعة والمهد ، وإجراء شريعة التوراة عليه من الختان والعقيقة ، والنطق والإعياء والجوع والعطش والنوم ، وطلب العلم من المعلمين ، وما يعتريه من مواقف الضعف والغضب ، والخوف والهرب ، والحزن والبكاء ، والتألم - على زعمهم - في الصلب حيث قال : (إلهي إلهي لماذا تركتني)(٢٩٨) ، فهذه كلها منافية للإلهية ، إذ لو كان إلهاً لما حصل له شيء من ذلك ، وصدق الله العظيم القائل عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ (٢٩٩) ، فالله تعالى لا يشبهه أحد من خلقه ؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد .

ونكتفي بهذا القدر اليسير من الأمثلة ؛ لأن موضوعات هذا البحث كما أشرنا كافية في الدلالة على إنسانية المسيح المحضة .

http://al-maktabeh.com

المبحث الثالث

اعتقادهم ألوهية المسيح من خلال معجزاته

يعتقد النصارى أن المعجزات والعجائب التي جرت على يدي المسيح - عليه السلام - أن جريانها على يديه بحكم طبيعته اللاهوتية ، وليس أنها جرت على يديه بحكم طبيعته النبوية ، مثل : إحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، والإخبار عن بعض الغيوب ، وتكثير الطعام بين يديه ، وسلطانه على بعض عناصر الطبيعة ، وصعوده إلى السماء ، ونزوله منها ، وغير ذلك من المعجزات ، التي يزعمون أنها برهان على ألوهيته ، ويستشهدون عليها بظاهر بعض نصوص أناجيلهم المقدسة .

وهذه المعجزات والعجائب منها : ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بالتصديق لما جاءت به كتب النصارى ، ومنها : ما جاء فيهما بالتكذيب لما جاءت به كتبهم ، ومنها ما لم يأت فيهما تصديق ولا تكذيب لما جاءت به كتبهم ، وهذا لا نصدقه ولا نكذبه ونقول : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون (٣٠٠) .

وتلك المعجزات والعجائب ليست بدعاً خاصاً بالمسيح - عليه السلام - لأنه ما من معجزة أيد الله بها عيسى ، إلا وأيد بها بعض الرسل السابقين عليه ، بل إن من معجزات الأنبياء السابقين عليه ما هو أدعى للعجب والتأمل ، لتفوقها على معجزات المسيح عليه السلام(٣٠١) ، وتلك

المعجزات هي من حكمة الله مع رسله في تأييدهم لدى الأقوام المرسلين إليهم ، يؤيدهم بهذه المعجزات الخارقة لقوانين الطبيعة لإلزام المرسلين إليهم بالحجة ، وقيام المحجة التي تقطع دابر اللدد والخصومة ، وهذه سنة الله مع جميع المرسلين من لدن أولهم نوح ـ عليه السلام ـ حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن عيسى ـ عليه السلام ـ بحسب الإنجيل ما أحيا إلا ثلاثة أشخاص، الأول : إبنة الرئيس على ما في إنجيل متى(٣٠٢) ، وإنجيل مرقس(٣٠٣) ، وإنجيل لوقا(٣٠٤) ، والثاني : الابن الوحيد لأمه الأرملة في بلدة ناين على ما في إنجيل لوقا(٣٠٥) ، والثالث : العازار على ما في إنجيل يوحنا(٣٠٦) .

أما في التوراة فقد ذكرت أن موسى ـ عليه السلام ـ كان يقلب عصاه حية تسعى ذات عينين تبصر بهما وتقصد ما أرادت ، وتتوجه إلى حيث شاءت(٣٠٧) ، وأنه ضرب الرمل بعصاه فانثال قملاً حتى ملأ أرض مصر(٣٠٨) ، وأن عصاه كما حولها إلى حية فقد حولها إلى شجرة ذات أغصان وثمار ثم أعادها إلى حالها الأولى(٣٠٩) .

كذلك حزقيال أحيا ألوفاً من الموتى(٣١٠)، وإلياس أحيا ميتاً (٣١١) ، وكذلك اليسع(٣١٢) ، كما ألقي ميتاً على قبره بعد موته فأحياه الله(٣١٣) ، وفي سفر أعمال الرسل ، أن بطرس أحد تلاميذ المسيح ، أحيا تلميذة أسمها (طباثيا) ، وقال : (يا طباثيا قومي ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى جميع القديسين والأرامل وأحضرها حية فصار ذلك معلوماً في يافا كلها ، وآمن كثيرون بالرب)(٣١٤) ، وفي نفس السفر أن بولس أيضاً أحيا

شاباً اسمه (أفتيخوس) سقط من السطح : (فنزل بولس ووقع عليه ، واعتنقه قائلاً : لا تضطربوا لأن نفسه فيه ، ثم صعد وكسر خبزاً وتكلم كثيراً إلى الفجر ، وأتوا بالفتى حياً وتعزوا تعزية ليست بقليلة)(٣١٥) .

وبهذا يتبين أن إحياء الموتى كما جرى على يدي المسيح ، فقد جرى على يدي موسى وحزقيال وإلياس واليسع وبطرس وبولس ، بل إن الأعظم من ذلك أن اليسع حينما ألقي ميتاً على قبره أحياه الله ، فلو كان إحياء الموتى مقتضياً أن في المسيح طبيعة لاهوتية ، لكان هؤلاء المذكورين أحق بها ، ولم يقل به أحد البتة ، وما فعله المسيح من إحياء الموتى ، إنما أحياهم باسم الله تعالى ، لا باسمه ، فهو لم يحيي الموتى بسلطانه ومجده ، بل بسلطان الله وحده ، بدليل قوله : (ولست أفعل شيئاً من نفسي)(٣١٦) ، وقال أيضاً : (الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي)(٣١٧) ، وبدليل ما جاء في القرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الكتاب ، الذي أخبر بما لم يأت في أناجيلهم ، أن من معجزات المسيح - عليه السلام - أنه كان يصنع من الطين ما يشبه الطيور، ثم ينفخ فيها فتصبح طيوراً بإذن الله وقدرته، قال تعالى : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ، وتبريء الأكمه الأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ﴾ (٣١٨) ، وإيجاد الحياة في من لم يكن حياً ، أعظم من إعادة الحياة إلى من كان حياً ، وأعظم من شفاء الأمراض ، وكل هذا بإذن الله ، ولا يدل على أن في المسيح طبيعة لاهوتية كما يعتقد النصارى .

ثانياً : أن عيسى - عليه السلام - حسب الإنجيل شفى بعض المرضى ، فقد شفى امرأة تنزف دماً منذ اثنتي عشرة سنة وقال لها إيمانك قد شفاك (٣١٩) ، وأنه شفى ابن خادم الملك(٣٢٠) ، وشفى حماة سمعان

(٣٢١) ، وشفى الأبرص(٣٢٢) ، والمفلوج(٣٢٣) ، والعمي(٣٢٤) ، وأخرج الشياطين (٣٢٥) ، وشفى مرضى آخرين(٣٢٦) ، ويستنتج النصارى من هذه الوقائع ، وما يماثلها ، أن المسيح لم يفعل ذلك إلا بحكم طبيعته اللاهوتية .

ويرد عليهم بأن شفاء المرضى من المعجزات التي أيد الله بها غير المسيح ممن سبقه من الأنبياء ، فقد كان النبي إلياس (إيلياالنبي) قد أحيا ابن المرأة الأرملة التي استضافها ، حين طلبت منه ذلك ، فسأل الله لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش ، ودفعه إلى أمه ، وقال لها : انظري ابنك حي(٣٢٧) ، كما أن النبي اليسع قد شفى أبرصاً من برصه ، ثم استطاع أن يجعله في شخص آخر ، وأن يحدثه في نسله عقاباً له على أخذه ما لا يحل له(٣٢٨) ، كذلك فقد صلى اليسع إلى الله أن يضرب جيش الأعداء الذين أحاطوا به بالعمى ، فضربهم الله بالعمى ، ثم دعا الله أن يبرأوا من العمى فأبصروا(٣٢٩) ، كما أن يوسف - عليه السلام - فتح عيني أبيه يعقوب بعد أن ذهب بصره (٣٣٠) ، وكان في اليهود من كان يخرج الشياطين مثل المسيح ، وهذا بإقرار المسيح نفسه(٣٣١) ، ولم يكن في هؤلاء الذين جرت على أيديهم تلك المعجزات أية صفة لاهوتية ؛ لأنهم لم يفعلوا ذلك من أنفسهم ، بل كان فعلهم بإذن الله ، وكذلك كان المسيح - عليه السلام - يشفي المرضى بإذن الله ، كما دل عليه قوله - آنف الذكر - في إنجيل يوحنا (٣٣٢) ، ودل عليه ما جاء في القرآن الكريم ، فقال تعالى عن المسيح : ﴿ وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني ﴾ (٣٣٣) .

ثالثاً : ومن معجزات المسيح - عليه السلام - تكثير الطعام ، وتحويل الماء خمراً ، ففي إنجيل متى أنه بارك خمسة أرغفة وسمكتان ، وأن

الآكلون بلغوا : (خمسة آلاف رجلٍ ما عدا النساء والأطفال)(٣٣٤) ، وفي إنجيل يوحنا أنه حول الماء خمراً(٣٣٥) .

ومعجزة تكثير الطعام - آنفة الذكر - لم تتم إلا بعد أن رفع المسيح : (نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع)(٣٣٦) ، ورفع النظر إلى السماء يفعله الإنسان عندما يتجه بدعائه إلى الله تعالى ، ولو كان المسيح إلهاً لما اتجه بدعائه إلى الله تعالى ، ومعنى (بارك وكسر) تعني أنه دعا ربه بحصول البركة ، كما أنه في إنجيل مرقس سأل تلاميذه: (كم رغيفاً عندكم)(٣٣٧)، والاستفهام لا يكون إلا نتيجة عدم العلم ، ولو كان إلهاً لكان يعلم الغيب ، ونظيره ما جاء في إنجيل يوحنا من قول المسيح لتلميذه فيلبس : (من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء)(٣٣٨) ، وهذا يدل على أن هذه المعجزة جرت على يد المسيح بإذن الله تعالى إكراماً له أمام قومه .

كما أن معجزات تكثير الطعام لم تكن خاصة بالمسيح ، فقد أيد الله بها بعض الأنبياء السابقين ، فقد ذكرت التوراة أن إلياس (إيليا النبي) حين استضاف امرأة أرملة، طلب منها قليل من ماء وكسرة خبز، فأخبرته أنه ليس عندها شيء ، ولكن ملء كف من الدقيق في الكرار وقليل من الزيت في الكوز ، فقال لها إلياس : (لا تخافي ادخلي وأعملي كقولك ، ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة أولاً واخرجي بها إليَ ثم اعملي لك ولابنك أخيراً ، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : إن كوار الدقيق لايفرغ وكوز الزيت لاينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على وجه الأرض ، فذهبت وفعلت حسب قول إيليا وأكلت هي وهو وبيتها أياماً ، كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم به عن يد إيليا)(٣٣٩) ، فهذا الدقيق الذي ملء الكف مع قليل من الزيت بقي إعجاز بركة تكثيرهما حتى يوم

نزول المطر ، أي : مدة ثلاث سنوات ونصف والمرأة تأكل منه وابنها وإيليا النبي ، ويدل على استمراره هذه المدة ما جاء في رسالة يعقوب ، ونصه : (وكان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا ، وصلى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها)(٣٤٠) ، كما أن النبي اليسع حين أستضاف امرأة من قومه ، وأكرمته ، سألها عن حاجتها ، فأخبرته أن زوجها عليه دين ، وليس عندهم ما يقضونه ، فأمرها أن تجمع ما لديها ولدى جيرانها من الأواني ، وتملأهن بالماء ، ثم دعاء الله عز وجل ، فتحول هذا الماء زيتاً ، فباعوا منه وقضوا دينهم (٣٤١) .

والإعجاز في تكثير الطعام ، وتحويل الماء خمراً ، الذي نسبته أناجيل النصارى إلى المسيح - عليه السلام - لم يأت لها ذكر في القرآن الكريم ، وإنما أخبر الله عن معجزة أخرى للمسيح لم يأت لها ذكر في أناجيل النصارى ، وهي إنزال المائدة من السماء ، عندما طلب الحواريين من عيسى إنزالها ، فكانت كما طلبها من الله عيداً لأولهم وآخرهم وآية منه ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ (٣٤٢) .

أما الإعجاز في تحويل الماء خمراً ، الذي نسبته أناجيل النصارى إلى المسيح ، وما جاء فيها من وصف المسيح بأنه أكول وشريب خمر

(٣٤٣) ، فإنه مما لا يجوز في حق المسيح ، ولا في حق غيره من الأنبياء والرسل ، الذين عصمهم الله من فعل مثل هذه الرذائل ، ويدل عليه أن أناجيل النصارى ذكرت قول المسيح في التحذير من شرب المسكر ، والثناء على من لا يشرب المسكر ، إذ جاء في إنجيل لوقا ، أن المسيح أمر باجتناب الخمرة والاحتراز منها ، فقال : (فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر)(٣٤٤) ، كما جاء في الإنجيل الثناء على نبي الله يحيى بن زكريا - عليهما السلام - عند البشارة بميلاده أنه : (يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب)(٣٤٥) ، كما جاء في رسائل من يسمونه بولس الرسول التحذير من مخالطة ومؤاكلة السكارى ، وأخبر أنهم لا يرثون ملكوت الله ، وأنه ليس للمؤمن أن يشرب كأس الرب وكأس الشيطان ، وليس له أن يشترك في مائدة الرب ومائدة الشيطان ، وحذر من السكر لأنه يؤدي إلى الخلاعة ، وذكر أنه يجب أن يكون الأسقف غير مدمن على الخمر(٣٤٦) ، وجاء في رسالة بطرس ، التحذير من سلوك الدعارة والشهوات ، وإدمان الخمر والبطر والمنادمات ، وعبادة الأوثان ؛ لأنها محرمة(٣٤٧) ، فمن خلال هذه النصوص يتبين تحريم الخمر والتشديد في النهي عن معاقرتها وإدمانها ؛ لأن هذا هو الحق الذي يتفق مع الشرائع الإلهية ، كما قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ﴾ (٣٤٨) ، كما أن تحريم الخمر هو اللائق بمقام أنبياء الله ورسله، الذين نزل عليهم الوحي بالأمر بالفضائل، والنهي عن الرذائل، وعصمهم الله عن ارتكاب أية صغيرة أو كبيرة .

رابعاً : ومن معجزات المسيح ـ عليه السلام ـ تسكين الرياح والبحر ، اللذان أديا إلى اضطراب عظيم للسفينة التي كانت تحمل المسيح وبعض تلاميذه (٣٤٩) ، والمشي على صفحة ماء البحر(٣٥٠) ، والتينة التي يبست حينما وجد أنها لاتحمل ثمراً ، فقال لها ـ على زعمهم ـ لايكن منك ثمر بعد إلى الأبد(٣٥١) ، ويعتقد النصارى أن هذا الإعجاز الذي أخضع العناصر الطبيعية لأمره ، يدل على أن المسيح له طبيعة لاهوتية .

ويرد عليهم ، بأن ماجاء في معجزة تسكين عاصفة الريح وأمواج البحر ، المذكورة في إنجيل متى : أن تلاميذ المسيح تقدموا إليه وأيقضوه من نومه ، قائلين : (ياسيد نجنا فإننا نهلك)(٣٥٢) ، ففي هذا النص أنه كان نائماً ، والنوم صفة بشرية لاتليق بالإله الذي لاتأخذه سنة ولانوم ، وفي قولهم : (ياسيد) دليل على أنه إنسان ، إذ لو كان إلهاً لقالوا له يا إله ، ويدل على ذلك أنه في نفس قصة المعجزة ، قال كاتب الإنجيل : (فتعجب الناس قائلين : أي إنسان هذا ؟ فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه)(٣٥٣) ، ففي النص أنه إنسان ، وهذا دليل على بطلان اعتقادهم أن في المسيح طبيعة إلهية .

أما معجزة المشي على صفحة ماء البحر ، فإن إنجيل متى لما أعاد الحديث عن معجزة المسيح في تسكين عاصفة الريح ، ذكر أن بطرس مشى على ماء البحر ، قال : (فأجابه بطرس وقال ياسيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء ، فقال تعال ، فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي يسوع)(٣٥٤) ، فبطرس خاطب المسيح بالسيد وليس بالإله ، كما أنه حصلت له معجزة المشي على الماء مثل المسيح ، فدل ذلك على أن معجزة المسيح ليست من صفات الألوهية ؛ لأنها حصلت لغيره ، والإله لايشاركه في صفاته أحد من خلقه .

أما معجزة التينة التي يزعم النصارى أن المسيح لعنها فيبست ؛ لأنه لم يجد فيها ثمر ، فقد ذكر إنجيل متى ، أن المسيح : (إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع ، فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط ، فقال لها لايكن منك ثمر بعد إلى الأبد ، فيبست التينة في الحال)(٣٥٥) ، فهل الإله يجوع ويأكل ويشبع ؟ وهل الإله لايعلم أن التينة ليس هذا أوان ثمرها ؟ وهل الإله لايستطيع أن يأمرها فتثمر في الحال؟ وعلى فرض أن النصارى لايعتقدون فيه الألوهية ، فهل يليق عقلاً أن يلعن المسيح شجرة التين لأنه لم يجد فيها ثمر ؟ لا شك أن من كانت هذه صفاته فإنه لايستحق الألوهية .

علماً أن إنجيل متى ذكر أن التلاميذ لما رأوا التينة يبست في الحال : (تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة في الحال ، فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلوا أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون ، وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه)(٣٥٦) ، فأخبرهم المسيح أنه بإمكانهم أن تحصل لهم معجزة أعظم من معجزته مع التينة ، بشرط أن يكون إيمانهم بيقين ليس فيه شك ، فلو قالوا للجبل انطرح في البحر لامتثل لأمرهم ، ولو طلبوا في صلاتهم أي شيء لتحقق لهم بإذن الله .

تلك المعجزات التي أخضع فيها المسيح عناصر الطبيعة لأمره ، حصل مثلها لغيره ، فقد أجرى الله مثلها على يد من سبقه من أنبيائه ورسله ، فقد ذكرت التوراة أن إلياس واليسع مشيا على صفحة نهر الأردن(٣٥٧) ، وكذلك فقد مشى يشوع النبي وقومه على البحر بتابوت الشهادة(٣٥٨) .

كما أن إلياس أخضع عنصر النار لسلطانه وطاعته بمجرد أمره، وذلك حين أمر النار فنزلت من السماء وأحرقت رئيس جند الخمسين والخمسين الذين معه ، وأحرقت آخرين مثلهم ، فقد تكرر هذا بمجرد أمر إلياس ، فحصلت هذه المعجزة بإذن الله(٣٥٩) .

وكذلك فإن يشوع النبي حينما كان يحارب أعداء قومه بني إسرائيل ، وخشي من غروب الشمس قبل أن يتحقق النصر عليهم ، سأل الله أن تدوم الشمس والقمر ، فدامت الشمس ووقف القمر حتى تحقق النصر على الأعداء (٣٦٠) ، كما ضرب موسى بعصاه البحر ، حين أتبعهم فرعون بجنوده ، فانفلق البحر طرق يابسة ، فسلكه موسى وقومه وعبروا إلى البر، وحين سلكه فرعون بجنوده غرقوا جميعاً(٣٦١).

وهذه المعجزات في خضوع عناصر الطبيعة ، لأمر من تمت على أيديهم ، لم يقل أحد أنهم اكتسبوا بها طبيعة لاهوتية ، كما يزعم النصارى في المسيح .

خامساً : ومن معجزات المسيح - عليه السلام - صعوده إلى السماء ، إذ قد ورد ذكر صعوده في إنجيلي مرقس ولوقا وسفر أعمال الرسل(٣٦٢) ، ويعتقد النصارى أنه جلس عن يمين الله(٣٦٣) - تعالى الله عن قولهم - وقد ذكروا ذلك في قانون إيمانهم المقدس ، إذ جاء فيه : (هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد إلى السموات ، وجلس عن يمين أبيه ، وأيضاً يأتي في مجده ليدين

http://al-maktabeh.com

الأحياء والأموات ، الذي ليس لملكه انقضاء)(٣٦٤) ، ويعتقدون أن رفع المسيح حياً يدل على أن فيه طبيعة لاهوتية .

وصعود المسيح حياً إلى السماء ، حقيقة لاشك فيها ، كما أخبر الله عن ذلك حين زعم اليهود أنهم قتلوه وصلبوه ، فأكذبهم الله بقوله : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (٣٦٥) .

ومعجزة الصعود إلى السماء ،ليست خاصة بالمسيح ـ عليه السلام ـ فقد جاء في العهد القديم أن أخنوخ صعد إلى السماء ، إذ جاء في التوراة: (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه)(٣٦٦) . وكذلك إلياس (إيليا) صعد أيضاً إلى السماء ، إذ جاء في سفر الملوك الثاني : (فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء)(٣٦٧) .

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ هاتين الحادثتين ، ثم قال : (والمسلمون مجمعون على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء وهو عبد محض ، وهذه الملائكة تصعد إلى السماء ، وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان ، ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وهل كان الصعود إلى السماء مخرج عن العبودية بوجه من الوجوه)(٣٦٨) .

أما قضية اعتقادهم جلوس المسيح عن يمين الله ، ونزوله من السماء ، وظهوره لتلاميذه ، ثم رفعه مرة أخرى ، وأنه سينزل مرة ثانية ليدين الأحياء والأموات ، فقد سبق لنا الحديث بالتفصيل عن هذه

القضية ومناقشتها في دراستنا النقدية لقانون الإيمان المقدس عند النصارى(٣٦٩) .

سادساً : ومن معجزات المسيح ـ عليه السلام ـ علمه ببعض المغيبات ، إذ جاء ذكر ذلك في أناجيل متى ومرقس ويوحنا ولوقا(٣٧٠) ، ويعتقد النصارى أن هذه المعجزة دليل على أن في المسيح طبيعة لاهوتية .

وهذه المعجزة حقيقة لاشك فيها ، فحين أخبر الله عزوجل عن معجزات المسيح ، ذكر أن منها أنه يخبر حواريه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، فقال تعالى على لسانه : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (٣٧١) .

والمسيح ـ عليه السلام ـ لايعلم إلا بعض المغيبات ، بدليل أنه حين جاع وذهب إلى شجرة التين ليأكل منها لم يجد فيها شيئاً ، فلو كان يعلم الغيب لما ذهب إليها ، كما سبق بيان ذلك في الفقرة (رابعاً) ، كما أن المسيح سأل تلاميذه كم عندهم من الخبز(٣٧٢) ، وسؤاله عن مقدار ماعندهم من الخبز نتيجة لعدم علمه لها ، كما دلت نصوصهم ما يفيد أن المسيح لايعلم الغيب في كثير من الأمور ، مثل : عدم علمه بما سيريه الله من الأعمال العظيمة قبل وقوعها(٣٧٣) ، وعدم علمه بقوة إيمان قائد المئة ، الذي سأل المسيح أن يشفي غلامه المفلوج بقول كلمة فقط ليبرأ ابنه من المرض، وأن المسيح تعجب من قوة إيمانه لما سمع قوله، ولو كان المسيح يعلم الغيب لما صدر منه العجب الذي هو نتيجة خفاء السبب(٣٧٤) ، كذلك عدم علمه متى تقوم الساعة(٣٧٥) .

وعلم المسيح - عليه السلام - ببعض المغيبات وعدم علمه ببعضها ، يدل على أنه لايعلم إلا بما يطلعه الله عليه ، ولو كان إلهاً لعلم جميع المغيبات ، ولما خفي عليه علم شيء منها .

كما أن علم الغيب لم يكن شأن المسيح فقط ، بل قد وجد آخرون يعلمون الغيب ، شأنهم شأن المسيح ، ولم يقل أحد بأنهم آلهة أو أن لهم طبيعة لاهوتية ، فقد ذكرت أسفار العهد القديم ، أن نبي الله يعقوب - عليه السلام - دعا بنيه وقال لهم اجتمعوا لأنبئكم بمايصيبكم في آخر الأيام ، فاجتمعوا إليه فأنبأهم بذلك(٣٧٦) ، وكذا موسى أنبأ بني إسرائيل بما سيأتي لهم في مستقبل الأيام(٣٧٧) ، وكذا صموئيل يخبر الملك شاؤل بكل ما سيحدث له في الطريق في ذهابه إلى بلده(٣٧٨) وكذا إلياس (إيليا) أخبر أحاب ملك إسرائيل ، أنه سيجلب عليه الشر ، وسيبيد نسله ، ويقطع له كل بائل بحائط ، ومحجوز ومطلق في إسرائيل ، كما أخبر أن الكلاب ستأكل إزابل زوجة أحاب عند سور يزرعيل ، وكل من مات في المدينة ، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء(٣٧٩) ، وكذا اليسع (اليشع) ، أخبر امرأة كبيرة في السن وزوجها قد شاخ ، أنها ستحبل وتلد ابناً ، فحبلت المرأة وولدت ابناً في الموعد الذي أخبرها به(٣٨٠) ، وأخبر عما ستفعله بنو إسرائيل من الشر ، وأن ملك آرام سيطلق النار على حصونهم ، ويقتل شبانهم بالسيف ، ويحطم أطفالهم ، وتشق حواملهم(٣٨١) ، وكذا بلعام بن بعور ، وشاؤل أول ملوك بني إسرائيل ، وقيافا الكاهن اليهودي وغيرهم(٣٨٢) ، فكل هؤلاء الذين سبق ذكرهم أخبروا بالمغيبات ، ولم يقل أحد من معاصريهم ، أو ممن جاء بعدهم ، أن فيهم طبيعة لاهوتية ، حتى النصارى أنفسهم ، لن يقولوا أن في هؤلاء طبيعة لاهوتية ، لكنهم

اعتقدوا أن في المسيح طبيعة لاهوتية ، ظناً منهم أن علم الغيب من خصائص المسيح دون سواه .

سابعاً : ومن معجزات المسيح - عليه السلام - كلامه في المهد ، وهذه المعجزة لم يأت لها ذكر في مصادر النصارى ، فهي ليست من أدلتهم على الاعتقاد أن في المسيح طبيعة لاهوتية ، وإنما ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في ثلاثة مواضع ، الأول : عند بشارة الملائكة لمريم بالمسيح، قال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾ (٣٨٣) ، والثاني : عند إخبار الله عن معجزاته ، قال تعالى : ﴿ إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل .. ﴾ (٣٨٤) ، والثالث : عند تبرئة الله لمريم مما قذفها المفترون عليها بفعل الفرية ، حين قالوا كما أخبر الله : ﴿ ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغياً ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ (٣٨٥) .

ومعجزة كلام المسيح في المهد ذات شأن عظيم ، في رد اعتقاد النصارى ألوهية المسيح ، يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : (وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ : ويكلم الناس طفلاً في المهد ، دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها ، وحجة له على نبوته ، وبالغاً كبيراً بعد احتناكه بوحي الله الذي يوحيه إليه ، وأمره ونهيه ، وما تقوُل عليه من كتابه ، وإنما أخبر الله عزوجل عباده بذلك من أمر المسيح ، وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالب من

أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً ، احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل ، وأنه كان في معاناة أشياء مولوداً طفلاً ، ثم كهلاً يتقلب في الأحداث ، ويتغير بمرور الأزمنة عليه والأيام ، من صغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه ، كان ذلك غير جائز عليه ، فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران، الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، واحتج به عليهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلمهم أنه كسائر بني آدم ، إلا ما يخصه الله به من الكرامة التي أبانه بها منهم ... وروى ابن جرير بسنده، عن محمد بن جعفر بن الزبير في تفسير الآية، أنه قال: يخبرهم بحالاته التي يتقلب بها في عمره كتقلب بني آدم في أعمارهم صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته، وتعريفاً للعباد مواقع قدرته)(٣٨٦) .

ومعجزة كلام المسيح - عليه السلام - في المهد ليست خاصة به ، كي لا يعتقد النصارى أن هذه المعجزة تدل على طبيعته اللاهوتية ، كما هي عادتهم في تحريف معاني آيات القرآن الكريم ، وتأويلها حسب مرادهم في كثير من مؤلفاتهم ، التي يبثون من خلالها شبهاتهم (١/٣٨٧) ، فقد تكلم غير المسيح في المهد ، قال ابن كثير : (قال محمد بن إسحاق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن محمد بن شرحبيل ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما تكلم أحد في صغره إلا عيسى وصاحب جريج) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة ، حدثنا الحسين يعني المروزي ، حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم ، عن محمد ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاث : عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخر)(٢/٣٨٧) .

http://al-maktabeh.com

ثامناً : أن المعجزات التي أيد الله بها المسيح ـ عليه السلام ـ أيد الله بها من قبله من الأنبياء والرسل ، فقد أخبر الله في القرآن الكريم أنه تعالى أيدهم بالكثير من المعجزات ، التي جعلها الله من البراهين الدالة على نبوتهم وصدق رسالتهم ، لا على أن لها دلالة على طبيعتهم اللاهوتية كما يعتقد النصارى في المسيح ، بل كان لهم من الآيات والبراهين التي لم تكن للمسيح ؛ لأن الله يؤيد كل نبي بالآيات التي تناسب حال الأمم وزمانها ومكانها ، فكانت آية نوح ـ عليه السلام ـ وهو أول الرسل ، أن أرسل الله الطوفان ، وهو الماء الذي أهلك الله به قومه ؛ لأنهم عصوه وخالفوا أمره ، ثم ينجي الله نبيه نوح هو ومن معه في الفلك المشحون ، الذي يجري بهم فوق عباب الماء المتلاطم : ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ (٣٨٨) ، ونبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ يأتيه عرش بلقيس من جنوب جزيرة العرب إلى بلاد الشام في أقل من طرف عين ، قال تعالى: ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ (٣٨٩) ، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ أحيا الله من أجله أربعة من الطير ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (٣٩٠) ، وموسى ـ عليه السلام ـ أمات الله له جماعة من بني إسرائيل ، ثم أحياهم من أجل التصديق به ، قال تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى

الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ (٣٩١) ، وأحيا له الميت الذي وردت قصته مع قصة البقرة ، التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها ، قال تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) (٣٩٢) ، بل إن الله أمات رجلاً وحماره ، ثم أحياهما ، لمجرد أن الرجل تعجب كيف يحيي الله قرية كانت قد ماتت ، قال تعالى : ﴿ فأماته الله مئة عام ثم بعثه ﴾ (٣٩٣) .

كما يخبرنا الله عز وجل عن عصا موسى - عليه السلام - أنها تكون حية تسعى ، قال تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ، قال ألقها يا موسى ، فألقاها فإذا هي حية تسعى ، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ (٣٩٤) ، وأنها أبطلت سحر سحرة فرعون حينما أخذت تلقف ما صنعوا ، قال تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ (٣٩٥) ، وأنه يضرب بها البحر فيكون كل فرق كالطود العظيم ، قال تعالى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ (٣٩٦) ، وأنه يضرب بها الحجر فتنفجر منه العيون المتدفقة بالماء ، قال تعالى: ﴿ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم ، وظللنا

عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٣٩٧) .

ويده التي يدخلها في جيبه ثم ينزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضاً من غير سوء ، قال تعالى : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء أية أخرى ﴾ (٣٩٨) وقال تعالى : ﴿ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ (٣٩٩) ، وقال تعالى : ﴿ واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ (٤٠٠) ، وكذلك الآيات التي أخذ الله بها آل فرعون ، قال تعالى : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يتذكرون ، فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ، فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ (٤٠١) .

وكذلك آيات سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعظم الآيات التي أعطيها رسولنا ، بل أعظم آيات الرسل كلهم القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة ، وكذلك الإسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، وتكثير الطعام بين يديه ، ونبع الماء بين أصابعه ، وغير ذلك من المعجزات التي ورد ذكرها في كتب السنة والسيرة النبوية .

وقد ذكر الإمام ابن تيمية(٤٠٢) ـ رحمه الله ـ أن النصارى : (يستدلون على إلهية المسيح بالعجائب ، مع أنه كان الإله متحداً به قبل أن يظهر العجائب ، وحينئذ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء ،

الجزم بأن الرب لم يتحد به مع إمكان الاتحاد . ويلزم أن كل جامد وحي ظهرت منه العجائب ، أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به ، وحينئذٍ فعباد العجل أعذر من النصارى . وإن كان من عباد العجل من يقول : إن الصنم خلق السموات والأرض ، فهو أعذر من النصارى ؛ لأن ظهور العجائب من الحيوان الأعجم والجماد ، أعظم من ظهورها من الإنسان الناطق ، لاسيما الأنبياء والرسل ، فإن الأنبياء والرسل ، معروفون بظهور العجائب على أيديهم ، فإذا ظهرت على يد من يقول : إني نبي مرسل ، كانت دليلاً على نبوته ، لا على إلهيته ، والمسيح كان يقول : إني نبي مرسل ، كما ذكر ذلك في الإنجيل في غير موضع ، فأما الحيوان الأعجم والجماد ، فلا يجوز أن يكون نبياً ، فإن جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه ، فاتحاده بالعجل وبالصنم أولى ، وحينئذٍ فخوار العجل عجيب منه ، فاستدلال عباد العجل بذلك على أنه إله ، خير من استدلال النصارى على إلهية المضغة إن قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها ، وإن كانت تلك لا تدل إلا على نبوته صلى الله عليه وسلم تسليماً)(٤٠٣) .

كما أن ابن القيم(٤٠٤) ـ رحمه الله ـ بعد أن تحدث عن معجزات المسيح ـ عليه السلام ـ وذكر أنها شبهة النصارى في الاعتقاد أن المسيح ـ عليه السلام ـ إله مع الله ، قال : (وجماع الأمر أن النبوات المتقدمة ، والكتب الإلهية لم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً ، إله حق من إله حق ، وأنه غير مصنوع ولا مربوب ، بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله : (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) (٤٠٥) ، وكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك كله يصدق بعضه بعضاً ، وجميع ما

تستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره ، كتسميته أباً وكلمة وروح حق وإلهاً ، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه ، وظهور الرب فيه أو في مكانه)(٤٠٦) .

ولهذا فإن اعتقادهم أن مع الله إلهاً آخر ، مع كونه شرك بالله تعالى ، وكفر به ، فهو أيضاً مسبة له سبحانه ماسبه إياها أحد من البشر ، ولهذا فقد عظم الله فريتهم عليه أشد من تعظيم افتراء غيرهم ، فقال سبحانه : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)(٤٠٧) .

وروى البخاري ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأً أحد)(٤٠٨) .

وروى البخاري ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم : أني لا أقدر أن

المهتدين
http://al-maktabeh.com

أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي : فقوله : لي ولد ، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً)(٤٠٩) .

وفي الصحيحين ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم ليدعون له ولداً ، وإنه ليعافيهم ويرزقهم)(٤١٠) .

والحاصل من هذا كله ، أن المعجزات التي جرت على يد المسيح عليه السلام ، أن الله قد أجرى مثلها وأعظم منها على أيدي كثير من الرسل السابقين عليه ، ولم تكن هذه المعجزات خاصة بالمسيح حتى يقال إنها جرت على يديه لأنه إله مع الله ، وأنها لم تعرف لأحد سواه ، وإذا بطلت هذه الدعوى بطل ما بني عليها من ادعاء التأليه لغير الله ، فلا نبي الله نوح ، ولا إبراهيم ، ولا موسى ، ولا سليمان ، ولا عيسى ، ولا أحد من الأنبياء قبل عيسى أو بعده ، فعل المعجزات بنفسه ، وإنما الفاعل هو الله عز وجل ، والرسل مفعول من أجلهم لتأييد دعوتهم ، ومعجزات كل رسول تأتي بما تناسب عصره وقومه ، ومع هذا فإن تلك المعجزات كانت تتفاوت فيما بينها قوة وأثراً ، وليس ذلك التفاوت قادحاً في واحدة منها ، فكلها وافية بالغرض ، ونحن بالجميع مؤمنون .

وبهذا يتأكد أنه لا حجة للنصارى في جعل معجزات المسيح - عليه السلام - دليلاً على اعتقاد ألوهيته ؛ لأنها لو كانت كذلك لكان جميع الأنبياء الذين جرت على أيديهم الآيات والمعجزات يستحقون التأليه ، وللزم النصارى أن يعتقدوا فيهم الألوهية ، كما اعتقدوها في المسيح عليه السلام .

المبحث الرابع

اعتقادهم ألوهية المسيح من خلال

صلبه وقيامته

يعتقد النصارى أن المسيح - عليه السلام - صلب ودفن وقام من الأموات في اليوم الثالث ، ويعتقدون أن ذلك يدل على طبيعته اللاهوتية ، وأنه لو لم يكن إلهاً لما قام من الأموات .

ويستدلون على هذا الاعتقاد بالمتشابه من نصوص كتابهم المقدس ، ويتأولون النصوص المحكمة منه بما يؤيد معتقداتهم الباطلة ؛ لأن في هذه النصوص المحكمة من كتابهم المقدس ما يرد عقيدتهم هذه، وعلى كل عقائدهم التي خالفوا فيها كتب الله المنزلة ، وبيان ذلك فيما يأتي :

المطلب الأول : اعتقادهم صلب المسيح :

يعتقد النصارى أن المسيح - عليه السلام - صلب ومات مصلوباً ، وأن روحه الإنسانية انفصلت عن جسده عند موته ، ولكنهما كانا متحدين بلاهوته ، وأن مافعله إلهي حقاً ، ولائق بلاهوته ؛ لأنه كان الحياة وكلمة الله ، وكان من الضروري أن يتم حكم الموت فيه نيابة عن الجميع (٤١١) ، ويزعمون أنه قام بذلك لأجل أن يموت لأجلهم ونيابة عنهم ، وأن الغرض من هذا الموت هو أن يأخذ مكانهم كخطاة أمام

الرب ، ولهذا الغرض صار الله - تعالى الله عن قولهم - إنساناً لكي يوجد في نفس الظروف التي وجدوا فيها ، أي أن الله ذاته تجسد في الإنسان المسيح (٤١٢) .

ويستشهد النصارى على اعتقادهم أن حادثة الصلب من براهين ألوهية المسيح ، بما ذكره مرقس في إنجيله أن المسيح : (دعا الجمع من تلاميذه وقال لهم من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلصها)(٤١٣) ، ثم يؤكد القس وديع ميخائيل على هذا الشاهد بقوله : (فهل من المعقول أن يطلب الرب يسوع مثل هذا المطلب لو لم يكن فوق مستوى البشر)(٤١٤) ، كما يستشهدون - أيضاً - بنصوص كتبهم التي تحدثت عن رواية صلب المسيح (٤١٥) - على زعمهم - وأحداث القبض عليه وقصة محاكمته(٤١٦) ، وحامل الصليب ، وغير ذلك من النصوص .

ويتساءل رجال اللاهوت النصارى ، لماذا صلب المسيح وتألم ، ولأجل ماذا ؟ وتتفق إجابتهم على القول : (إن الغرض من الآلام التي اجتازها السيد هو المصالحة ، أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة ، هذا هو السبب الذي من أجله صار الله إنساناً وتألم ، إنه أراد أن يضع يده في يد الإنسان الخاطيء ، فعلى الصليب علق المسيح كخروف الفصح ، حمل الله الذي يرفع خطية العالم ، وبهذه الذبيحة وبهذا الموت استطاع المسيح أن يصالح الله القدوس العادل من الإنسان الشرير الخاطيء) (٤١٧) .

أي أن اعتقادهم صلب المسيح ؛ لأجل أن يتم فداء ذرية آدم ـ عليه السلام ـ من المعصية التي وقع فيها بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها ، فيزعمون أنه بعد سقوط آدم في المعصية بدأ وعد الله بالفداء ، لذلك مهد الله لهذا الفداء سنين طويلة ، لكي يفهم الإنسان هذا الفداء ويعرف فكرة الكفارة ، والمعنى الذي يفسر اعتقادهم صلب المسيح ، أنه : الكفارة ـ الفداء ـ الخلاص ، وكلها تشير إلى معنى واحد ، وهو اعتقادهم إنقاذ الإنسان من الموت الأبدي ، وإعطائه حياة جديدة مع الله إلى الأبد ، أي : إزالة حكم الموت الذي حكم به عليه عندما سقط في الإثم (٤١٨) .

ويرد عليهم بأن استنادهم على نصوص كتبهم في إثبات عقيدة صلب المسيح ، ليس فيها ما يثبت ذلك ، وبيان ذلك فيما يأتي :

١ـ أن الأناجيل تتناقض مع بعضها في الحديث عن أحداث رواية الصلب ، والدليل إذا دخله الاحتمال بطل به الاستدلال ، فقد ذكرت الأناجيل شك التلاميذ وإنكارهم للمسيح ليلة القبض عليه، ففي إنجيل مرقس : (قال لهم يسوع إن كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة (يعني ليلة القبض عليه) فقال له بطرس وإن شك الجميع فأنا لا أشك ، فقال له يسوع : الحق أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات)(٤١٩) ، كما جاء ذكر هذه الحادثة في إنجيلي متى ولوقا(٤٢٠) ، وشك التلاميذ الذي أخبر عنه المسيح ، يعني أنهم لن يكونوا على يقين فيما سيجري عليه ، هل سيقبض عليه أم سينجو من القبض ؟ فيلزم النصارى أمران : إما الاعتراف بيقين بصدق قوله ، وهذا يعني أنهم لم يعلموا هل صلب أم لا ؟ أو تكذيبه ، وهذا يعني أنهم حكموا

على إلههم بالكذب ، وتكذيب الإله كفر باتفاق أهل الملل ، فليختاروا أحد الأمرين ، وعلى أيٍ منهما تبطل حجتهم .

٢. اختلاف الأناجيل في أحداث القبض على المسيح ، ففي إنجيلي لوقا ومرقس أن يهوذا الأسخريوطي قبَّل المسيح ليُعرِّف الجنود به : (وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الإثني عشر يتقدمهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان)(٤٢١) ، بينما في رواية إنجيل يوحنا أن المسيح هو الذي سلم نفسه ، ويهوذا واقف مع الجنود : (فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه ، وقال لهم من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري ، قال لهم يسوع : أنا هو ، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقف معهم)(٤٢٢) ، فالنص الثاني يناقض النص الأول .

٣. اختلفت الأناجيل أيضاً في رواية حامل الصليب إلى مكان الصلب أهو المسيح أم غيره ؟ ففي إنجيل متى : (وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه)(٤٢٣) ، وفي إنجيل يوحنا : (فخرج (أي المسيح) وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة)(٤٢٤) ، فالنص السابق من إنجيل متى وإنجيلي مرقس ولوقا(٤٢٥) ، أن حامل الصليب سمعان ، وفي إنجيل يوحنا أن حامل الصليب المسيح نفسه ، وهذا تناقض ظاهر .

٤. تناقضت الأناجيل أيضاً في محاكمة المصلوب الذي يزعمون أنه المسيح ، ففي إنجيلي متى ومرقس(٤٢٦) ، أن المسيح لم يناقش

بيلاطس البنطي ، بل كان المسيح يرد عليه عندما يسأله بقوله : (أنت تقول) فقط ، أما في إنجيل يوحنا فقد ورد في الحديث الذي دار بين بيلاطس وبين المسيح ، أن المسيح كان يرد عليه ويناقشه (٤٢٧) .

٥. أن حادثة الصلب - كما ثبت بطلانها بنصوص كتبهم - فإن الصلب يتنافى مع ما جاء في العهد القديم والعهد الجديد ، أن المعلق على الخشبة ملعون ، سواء أكان المعلق على الخشبة الإنسان المخطيء كما جاء في التوراة(٤٢٨) ، أم هو المسيح الذي يزعم النصارى أنه صار لعنة لأجلهم ؛ لأنه افتداهم من لعنة الناموس كما جاء ذلك في رسالة بولس(٤٢٩) .

كما أن الصلب يتنافى مع ما جاء في الأناجيل ، أن الله تكفل بحفظ المسيح - عليه السلام - من كيد أعدائه بواسطة ملائكته : (لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك)(٤٣٠) ، وأن لا ينكسر منه عظم : (لأن هذا كان ليتم القائل عظم لا ينكسر منه) (٤٣١) ، إلا أن المسيح - على زعمهم - قبض عليه ، وحوكم ، واقتيد إلى مكان الصلب ، وتعرض للإهانة والسب والشتم ، فأين الوصية بحفظ الملائكة له ؟ كما أن الذي صلب - على زعمهم - سُمرت يديه ورجليه ، وهذا يؤدي إلى كسر عظم منه من يد أو رجل ؛ لأن المسامير عادة تخترق الأيدي والأرجل أثناء الصلب ، فلم يتم الوعد الذي قيل عنه : (عظم لا ينكسر منه) .

ويتنافى أيضاً مع ما ورد في الإنجيل أنهم لن يستطيعوا الإمساك بالمسيح - عليه السلام - لأنه سيصعد إلى خالقه الذي أرسله ، ففي إنجيل يوحنا أنه حينما اجتمع اليهود للتشاور في القبض عليه ، وأرسلوا الخدام

لكي يمسكوه : (فقال لهم يسوع : أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ، ستطلبونني ولا تجدونني ، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)(٤٣٢) ، فقد صرح المسيح بأن اليهود سيطلبونه ليمسكوه ثم لن يجدوه ، وسيكون في مكان لا يقدرون على المجيء إليه : (وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) ، أي : أن المكان الذي سأصير إليه تعجز عنه قدرة البشر ، لعجزهم أن يصعدوا إلى السماء ، وليس بعد هذا التصريح يقال إنهم مسكوه وأسروه ولطموه وصلبوه ؛ لأن ذلك تكذيب لقوله : (ستطلبونني ولا تجدونني) ، وتكذيبه كفر بالله تعالى .

وبهذا يتبين أن شك تلاميذ المسيح - وهم أقرب الناس إليه - في شخص المسيح ، وإنكارهم له ليلة القبض عليه ، واختلاف روايات الأناجيل في أحداث القبض عليه ، واختلافها في رواية حامل الصليب إلى مكان الصلب ، والتناقض فيما بينها في محاكمة المصلوب الذي يزعمون أنه المسيح ، هذه الأمور وغيرها تدل على أن حادثة الصلب لم تقع ، وبالتالي فإن عقيدة الصلب باطلة ؛ لأن أحداث حادثة الصلب نقلت بطريق الآحاد ، الذي لاتقوم به حجة ولا يثبت به العلم الضروري ، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب ، ولن يزعم النصارى أن حادثة الصلب نقلت بالخبر المتواتر ؛ لأن شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة ، وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين به وعلموه ضرورة ، فإن اختل شيء من ذلك فلا تواتر ، وحتى لو نقل التواتر بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة العلم لجواز كذب الناقل، فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر(٤٣٣) .

وإذا كان قد ثبت بنصوص أناجيلهم المقدسة ، أن المسيح - عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب ؛ لأن شهود هذه الحادثة ذكروها بطريق الآحاد الذي لا تقوم به حجة ولا يثبت به العلم الضروري ، وثبت بنصوصهم أن الله سيحفظه من أن يمسه سوء ، وأنه سيذهب إلى مكان تعجز عنه قدرة البشر ، أي : أن الله سيرفعه إلى السماء ، وإذا كان كذلك ، فإن الذي صلب وقتل لم يكن المسيح ، بل غيره ، وهذا هو الحق الذي أخبر الله تعالى عنه في قوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٤٣٤) .

وقد ذكر الإمام صالح بن الحسين الجعفري(٤٣٥) - رحمه الله - عشر حجج ، تبين أن المصلوب ليس المسيح وإنما الذي شُبه لهم به، فقال: (وها نحن نورد من الحجج المقبولة عندكم ما يقضي بغلطكم في قتل المسيح وصلبه ، ويحقق لكم أن المفعول به ذلك سواه ، وهو الشبه الذي نقول به إن شاء الله تعالى :

الحجة الأولى :

لاشك ولا خفاء أن كتابكم ينطق في غير موضع (أن المسيح نشأ بين أظهر اليهود وتردد معهم في مواسمهم وأعيادهم وزاحمهم في مجامع قراراتهم يعرفونه ويعرفون أمه وسبطه ، وأنه حين بهر في علم التوراة والنبوات كان يعلم عندهم في الهيكل بأورشليم ويناظر أحبارهم فيبهتهم بحسن التعليم فيقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليس أمه مريم؟ أليس أخواته عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟)(٤٣٦) .

وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه ، فما حاجتهم إلى أن اكتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرفهم بشخصه لولا وقوع الشبه الذي نقول به .

الحجة الثانية :

على أن المفعول به ذلك غير المسيح وأنه كان قد شبه لهم قول نقلة الإنجيل : (أن رئيس الكهنة أقسم على المأخوذ الحي : أأنت المسيح ابن الله الحي ؟ فقال له : أنت قلت)(٤٣٧) ، ولم يجبه بأنه هو المسيح ، فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له : نعم ، ولم يستجز أن يواري في الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم المسيح إنما جاء لبث الحق ونشر الصدق ، فكيف تجشم لشيء ثم يكتمه ؟ .

فإن قال النصارى : هذا أيضاً لنا ، إذ لو كان غيره لم يخف ذلك ولبينه وقال : لست المسيح بل أنا رجل سواه . قلنا يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعته من البيان والإفصاح عن حاله كما يجري للبشر ، وهذا لا بُعد فيه أن يأخذ الله على لسانه ويسد عنه مادة الكلام صوناً لنبيه المسيح أن يفصح الرجل عن أمره .

والوجه الثاني : أن يكون الشبه لصديقيَته آثر المسيح بنفسه وفعل ذلك بعهدٍ عهده إليه المسيح رغبة منه في الشهادة ، فلهذا ورَى في الجواب ، وجمجم في القول، ويؤيد هذا الوجه قول التلاميذ للمسيح أيام الخوف من إيقاع اليهود به (بأنه لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا) (٤٣٨)،

http://al-maktabeh.com

والشبه كان من جملة التلاميذ ، فلهذا وفَىَ بما وعد من نفسه، وهذا شيء لم تزل تفعله أصحاب الأنبياء في الحروب وغيرها أن يقوا بأنفسهم أنبيائهم فينالون بذلك الثناء في الدنيا والثواب في العقبى .

فقد وضح أن المجيب لرئيس الكهنة غير المسيح ، إذ لو كان المسيح لم ينكر ولم يورَ .

الحجة الثالثة :

على حماية الله المسيح - عليه السلام - وأن المصلوب غيره ، قال لوقا : (صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينا هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه ، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ، وإذا موسى بن عمران وإيليا قد ظهرا له ، وجاءت سحابة فأظلتهم ، فأما الذين كانوا مع يسوع فوقع عليهم النوم فناموا)(٤٣٩).

قلت : هذا من أوضح الدلالة على رفع المسيح وحصول الشبه الذي نقول به ؛ لأن تغيُر صورة المسيح وتبدل لون ثيابه عما كانت عليه ، وظهور موسى النبي عليه السلام ، وإيليا عليه السلام ، ومجيء السحاب يظللهم ، ووقوع النوم على التلاميذ ، من أقوى ما يتمسك به في حماية المسيح ووقوع شبهه على آخر سواه ، فلا معنى لظهور هذين النبيين له ووقوع النوم على أصحابه إلا رفعه عليه السلام .

ومما يؤيده قول الإنجيل : (أن اليهود حين رفعوا المصلوب على الخشبة قالوا : دعه حتى نرى إن كان إيليا يأتي فيخلصه)(٤٤٠) ، وهم يظنون أن المصلوب هو المسيح ، وقد كان المسيح يقول لأصحابه : إن إيليا سيأتي .

والدليل على غلط النصارى : قول فولس الرسول في صدر رسائله زارياً عليهم : (أنهم لم يعرفوا الله تعالى ، لكن أظلمت قلوبهم التي لا تفقه ، فجهلوا واستدلوا بالله الذي لا يناله فساد شبه صورة الإنسان الفاسد ؛ فلذلك أهملهم الله وتركهم وشهوات قلوبهم النجسة ، فبدلوا حق الله بالكذب ، وعبدوا الخلائق وآثروها على خالقها الذي له التسابيح والبركات ، فلذلك وكلهم الله إلى أولاد الفاضحة)(٤٤١) .

فهذا فولس كأنما ألهم ما سيفتريه متأخرو النصارى إلهاماً ، فنطق بذلك رداً عليهم وإزراء بعقولهم وتصريحاً بكفرهم وضلالهم .

الحجة الرابعة :

على حماية المسيح مما نسب إليه ، قول الأناجيل : إن المأخوذ كان قد غيرت صورته وشوهت هيئته ، وسيق ذليلاً وتوج من الشوك إكليلاً ، وألبس أرجواناً وأبلس هواناً ، وجذب وسحب وشقي وسجن ولطم وضرب ، وحمل خشبته التي عليها صلب ، وأعنف به في سحبه ، فكرَب وما ركب .

قال يوحنا : (أخذ في ليلة باردة من بستان بوادي الأرز ، كان يخلو فيه مع تلاميذه)(٤٤٢) ، فاجتمع في القصة ما يصحح الغلط ويرجح في النقل واللغط ، وهو أن المصلوب أخذ في حندس ليل مظلم على حين فترة ، فلم يصل به الشرط حتى طمست صور محاسنه لطماً وضرباً ، ونسخت سور حلاه جذباً وسحباً ، فكان جميع ماجرى إنما هو على الشبه ، ومع احتواش القصة بهذه الشبه لا يجزم بأنه المسيح .

الحجة الخامسة :

قال يوحنا التلميذ : (كان يسوع مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم يسوع وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع، وقد خفي شخصه عنهم ، فقال : أنا يسوع ، وفعل ذلك مرتين ، وهم قد أنكروا صورته)(٤٤٣) ، وذلك دليل على الشبه ورفع المسيح ، وإذ أنكروا صورته وهو الناشيء بينهم والمربى في جماعتهم .

الحجة السادسة :

قول لوقا في إنجيله : (إن المسيح بعد قيامه صحب رجلين من أورشليم ، وهما يطلبان قرية يقال لها عمواس ، فتبعهما وماشاهما ، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته فلما كلمهما عرفاه بعد ذلك) (٤٤٤) .

وقد حكى بعض النصارى أن المسيح قد أعطي قوة التحول من صورة إلى صورة ، وذلك كله يشهد بصحة ما قلناه ، وإذ التبس أمره على خواص أصحابه وتلاميذه حتى أنكروا هيئته وصورته وثيابه فما ظنك بغيرهم ؟ .

وقال لوقا أيضاً : (بينا التلاميذ في غرفة لهم إذ وقف المسيح في وسطهم بعد قيامه ، والتمس منهم شيئاً يأكله فأطعموه جزءاً من حوت ، وشيئاً من شهد العسل)(٤٤٥) ، وذلك كله يشهد بما قلناه في حمايته وصونه من أعدائه ، وإلقاء الشبه على غيره .

الحجة السابعة :

قال يوحنا : (وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك ، فقال : يا فتيان هل عندكم من طعام ؟ فلم يعرفوه ، فقالوا : لا ، فقال : ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن ، ففعلوا ، فرفعت سمكاً كثيراً فحينئذ عرفوه ، وقالوا : هو المسيح ، وكان أحدهم عرياناً ، فأخذ مئزره حين عرف أنه المسيح)(٤٤٦) .

فهؤلاء التلاميذ وخواص أصحاب المسيح يشهدون بما صرنا إليه من تغيير شبه المسيح عليهم وتصديق قول من يقول منهم : إن المسيح كان قد أعطي قوة التحول من هيئة الصبوة إلى هيئة الكهولة والشيخوخة وغير ذلك ، وإلا فكيف يخفي وجهه عن مثل الاثني عشر من أصحابه وتلاميذه ويستبعد ذلك من اليهود ؟ .

الحجة الثامنة :

إن القول بقتل المسيح يؤدي إلى تكذيب المسيح ، وما أدى إلى تكذيبه فهو باطل ، وبيانه هو : أن المسيح - عليه السلام - قد بشَر في إنجيله بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال : إنه النبي الصادق الآتي بعده ، ومحمد جاء وأخبر بأن المسيح ما قتل وما صلب ، فالقول بقتل المسيح يفضي إلى تكذيب من صدَقه المسيح ، فكان تكذيباً للمسيح ...

الحجة التاسعة :

لو قد صح قتل المسيح وصلبه لبطلت الدلالة على وجود الباري تعالى ، وبيانه : هو أن في ذلك إبطال بشائر الأنبياء عليهم السلام بمحمد

صلى الله عله وسلم ، وإظهار كذبهم فيما شهدوا له به من النبوة والرسالة وصدق المقالة ، وذلك يعكر على نبواتهم بالإفساد ، إذ أخلفت أقوالهم ، ولم تصدق أخبارهم ، وذلك يخرم الثقة بجميع ما أخبروا به من حدث العالم ووجود الصانع تعالى ، وما أدى إلى ذلك فهو مردود من أصله .

الحجة العاشرة :

قال لوقا : (لما كان في الشهر السادس من حمل اليصابات زوجة زكريا بيحيى ابنها جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصرة من أرض الجليل ، وهي إذ ذاك خطيبة لرجل من نسل داود يقال له : يوسف ، فقال لها جبريل : أبشري يا ممتلئة بنعمة الرب ، مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه ، فقال لها جبريل : لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة من عند الله وأنت تقبلين حبلاً بولد يدعى يسوع ، يكون عظيماً وابن العلي يدعى ، يعطيه الرب كرسي أبيه داود ، ويملك على بيت يعقوب ، فقالت مريم : أتاني ذلك ولم أعرف رجلاً ، فقال جبريل : روح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، وهذه اليصابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنها لأنه ليس عند الله أمر عسير ، فقالت مريم : ها أنا ذا عبدة الرب فليكن ما قلت)(٤٤٧) .

ورد ذلك من الله على مريم مورد الامتنان والإنعام ، وهو أن يجلس ولدها في دست (ملك) داود ويُملكه رقاب اليهود ، فالقول بأن المسيح هلك وما ملك ، يقضي بالسخرية من البتول ، أو البداء من المرسل ، أو الكذب من الرسول ، والكل محال ، فالقول بقتل المسيح وصلبه محال)(٤٤٨) .

وكما ثبت أن المصلوب غير المسيح ، فقد استنتج الكثير من أساتذة الدين المقارن من النصارى ، بعد دراسة النصوص الدينية وتحليلها ، أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ، وبيان ذلك فيما يأتي :

١- إن إيمان النصارى بعقيدة صلب المسيح وسفك دمه كفارة عن خطايا البشر ، التي دعا إليها بولس ، ليس لها أي أساس في تعاليم المسيح لتلاميذه وحوارييه ، الذين عاصروه وتعلموا بين يديه ، حيث ينكرون أن يكون المسيح صلب وقتل تضحية وفداء عن ذنوب البشر ، وتوصلوا إلى أن تلك العقيدة كانت من اختراع بولس حين زعم أن المسيح ابن الله وأنه مات من أجل خطايا البشر وما كان بولس واحداً منهم ، يقول شارل جينيبير : (إن موت عيسى في نظر الاثنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية ، أما عند بولس فنعم ؛ وفي عقيدته أن المسيح مات من أجل خطايا البشر)(٤٤٩) .

وهذه العقيدة التي كان عليها الحواريون هي الحق الذي آمنوا به وكفر به غيرهم ، كما أخبر الله عن ذلك فقال : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمن بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)(٤٥٠) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (٤٥١) .

٢. أنه ظهر في أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس ، راهب بريطاني يدعى بيلاجيوس (ولد سنة ٣٦٠م ، وتوفي سنة ٤٢٠م) ، نادى بعقيدته التي ترفض ألوهية المسيح ، وترفض عقيدة وراثة الخطيئة التي يزعمون أن المسيح صلب من أجل التكفير عنها ، حيث يقول: (إن خطيئة آدم قاصرة عليه ، ولم تتسرب منه إلى نسله ، ولذلك فإن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخطيئة ، ومن ثم يمكنه بمحض إرادته وملكاته أن يبلغ أسمى درجات الكمال) (٤٥٢) .

وكما أن عقيدة الصلب لم تثبت بالنقل ، فهي لا تتفق مع العقل والمنطق ، إذ كيف يجوز الامتهان والذل والهوان والصلب والموت قهراً على من تزعمون أنه إله ، موصوف بجميع صفات الألوهية ، إذ يلزم - على زعمهم - أن يكون ذليلاً عزيزاً ، مهاناً منيعاً ، قوياً ضعيفاً ، ميتاً حياً ، وذلك لا يرضاه أجهل الناس فهماً ، وأسخفهم عقلاً ، حتى على اعتبار النبوة كما نعتقده نحن معاشر المسلمين ، من صيانة قدر المسيح - عليه السلام - عن صلبه على هذه الصورة ، لا سيما وقد ذكرت الأناجيل ، أنه أكثر من الصلاة والتضرع والتوسل إلى الله تعالى ، وعرقه يقطر مثل الدم ، وهو يجاهد بتكرار الدعاء على أن يخلصه من اليهود ، ولا يليق برحمة الله وكرمه أن يرد دعاء عبده ورسوله ، المجاهد في سبيله ، ويتركه خائباً تعبث به اليهود ، حسبما ورد في روايات الأناجيل ، فإن ذلك ممتنع عقلاً وشرعاً .

ثم لو سلمنا - جدلاً - أن المسيح صلب ، ودفن في قبره ثلاثة أيام - على زعمهم - وقبل أن يصعد إلى السماء : (من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب ، وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال ، وسمرت اليد التي أتقنت العوالم ، فهل

بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها ، وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم ؟ أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره ، وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب ، وليذوق حر المسامير ، وليوجب اللعنة على نفسه ، حيث قال في التوراة : (ملعون من تعلق بالصليب)(٤٥٣) ، أم تقولون : كان هو المدبر لها في تلك الحال ، فكيف وقد مات ودفن ؟ أم تقولون - وهو حقيقة قولكم - لا ندري ، ولكن هذا في الكتب ، وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم . فنقول لكم وللآباء : معاشر المثلثة عباد الصليب ، ما الذي دلكم على إلهية المسيح ؟ فإن كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه إلى خشبة الصليب ، وعلى رأسه تاج من الشوك ، وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه ، ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع ، وشدوا يديه ورجليه بالحبال ، وضربوا فيها المسامير ، وهو يستغيث وتعلق ، ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه ، فما أصحه من استدلال عند أمثالكم ، ممن هم أضل من الأنعام ، وهم عار على جميع الأنام)(٤٥٤) .

وفي موضع آخر يقول ابن القيم رحمه الله : (ويا عجباً ، هل دفنت الكلمة معه ، بعد أن قتلت وصلبت ؟ أم فارقته وخذلته وهو أحوج ما كان إلى نصرها له ، كما خذله أبوه وقومه ؟ فإن كانت قد فارقته وتجرد منها ، فليس هو حينئذٍ المسيح، وإنما هو كغيره من آحاد الناس، وكيف يصح مفارقتها له بعد أن اتحدت به ، وما زجت لحمه ودمه ؟ وأين ذهب الاتحاد والامتزاج ؟ وإن كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت ودفنت معه ، فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإله وصلبه ودفنه ؟ ويا عجباً أي قبر يسع إله السموات والأرض ؟ هذا وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)(٤٥٥).

أما اعتقاد النصارى أن خطيئة آدم - عليه السلام - بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، ورثت لبنيه من بعده ، وأنه لا يولد مولود إلا وفي عنقه هذه الخطيئة، وأنه لا ينجو إنسان من إثمها إلا بكفارة وفداء، ولم يتحقق هذا الفداء إلا بصلب المسيح - على زعمهم - ومن ثم كانت عقيدة الإيمان بالمسيح فادياً ومخلصاً .

هذا الاعتقاد باطل بنصوص كتبهم المقدسة ، التي جاء فيها أن الإنسان مسؤول عن ذنبه ، ولا يحمل الإنسان وزر غيره ، فقد جاء في التوراة : (لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل)(٤٥٦) ، وجاء فيها أيضاً : (النفس التي تخطيء هي تموت ، الابن لايحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون)(٤٥٧) ، وفي الإنجيل أن المذنب يعذب في النار : (فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك ، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان ورجلان ، وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك ، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان ، انظروا لاتحقروا أحد هؤلاء الصغار)(٤٥٨) ، كما جاء في الإنجيل أن المسيح - عليه السلام - لا يغفر للمذنبين : (ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية ... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية)(٤٥٩) ، وجاء أيضاً قول المسيح للخطاة والمذنبين : (كيف تهربون من دينونة جهنم)(٤٦٠) .

فهذه النصوص تبطل اعتقادهم بأن المسيح صلب وقتل ليكفر عنهم خطاياهم ، وتثبت أن كل إنسان سيحاسب أمام الله ، وأن الأبرار إلى النعيم ، وأن الأشرار إلى الجحيم .

فأين فائدة غفران المسيح لخطاياهم ؟ وهم يزعمون أنه بمجرد إيمانهم به فادياً ومخلِصاً تغفر خطاياهم، وإلا فيكون قول المسيح هذا، وما جاء في العهد القديم ، وما جاء في العهد الجديد عبثاً وباطلاً ، كما أنه لا يبقى فائدة لغفران القسس والرهبان لذنوب المذنبين الذين يعتقدونه حتى يومنا هذا .

وقد أبطل الله تعالى ذلك ، وأخبر أن الخطيئة لا تورث ، وأن معصية آدم قاصرة عليه ، وأنها قد غسلتها التوبة ، وانتهى أمره بالاجتباء والهداية من ربه ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (٤٦١) ، وقال تعالى:)فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٤٦٢) .

وأخبر سبحانه أن كل إنسان مسئول عن نفسه وعن عمله ، فلا يحمل الابن وزر أبيه ، أو الحفيد وزر جده ، وكل إنسان يوم القيامة يتحدد موقفه تبعاً لما عمل من خير أو شر ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى ﴾ (٤٦٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٤٦٤)، وقال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٤٦٥)، وقال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٦٦)، وقال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(٤٦٧) .

مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

المطلب الثاني : اعتقادهم قيامة المسيح من الأموات :

يعتقد النصارى أن المسيح - عليه السلام - بعد أن صلب وقتل ودفن في قبره ثلاثة أيام ، قام من الأموات في اليوم الثالث ، ويعتقدون أنه قام بقوة لاهوته ، وأن ناسوته لم ينفصل قط عن لاهوته لحظة واحدة ولا طرفة عين(٤٦٨) .

ويعتقدون أنه لو لم يكن إلهاً لما قام من الأموات ، يقول القس حنا الخضري : (ولكن بالقيامة وعن طريقها ينزاح الحجاب ، فنرى لاهوته ومجده ، ويصبح معروفاً ومعترفاً به كابن الله ، فحتى تلاميذه الذين كانوا يشاركونه الحياة لم يستطيعوا أن يدركوا هذا الأمر العظيم إلا بعد القيامة)(٤٦٩) .

ويستدلون على اعتقادهم أن قيامة المسيح بقوة لاهوته ، أنه قام من القبر وهو مغلق فجر يوم الأحد(٤٧٠) ، وأنه دخل على تلاميذه عشية ذلك اليوم والأبواب مغلقة ، ووقف في الوسط وقال لهم : سلام لكم ، وأنه لما قال هذا أراهم يديه وجنبه ، ففرح التلاميذ إذ رأوه(٤٧١) ، وأنه زارهم مرة ثانية بعد ثمانية أيام فدخل عليهم والأبواب مغلقة ، ووقف في الوسط وقال : سلام لكم ، ثم طلب من تلميذه توما أن يضع إصبعه وأن يبصر يديه ، ويضع يديه على جنبه كي يتأكد أنه هو ولا يكن غير مؤمن(٤٧٢) .

ويستدلون أيضاً بأقوال بعض تلاميذه ، ومن ذلك قول بطرس للأحد عشر تلميذاً وهم وقوف معه : (يسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك)(٤٧٣) ، وقوله أيضاً : (يسوع الناصري ... الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت)(٤٧٤) ، وقول بطرس والرسل : (ينبغي أن يطاع الله

أكثر من الناس إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه وصلبتم إياه على خشبة)(٤٧٥) ، وقول بولس الرسول لأهل أثينا : (لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه (يقصد المسيح) ، مقدماً للجميع إيانا إذ أقامه من الأموات)(٤٧٦) ، وكذا قوله لأهل رومية وأهل أفسس(٤٧٧) .

كما يستدلون أيضاً بعدة نصوص من العهد القديم يزعمون أنها تنبأت عن قيامته ، وبنصوص أخرى من العهد الجديد يزعمون أن المسيح تنبأ فيها عن قيامته ، وأنه ظهر لتلاميذه ولآخرين بعد قيامته إحدى عشرة مرة ، وأن الملائكة شهدت بذلك ، وأن القديسين قاموا من الأموات وخرجوا من القبور بعد قيامته ، وأن حرّاس القبر شهدوا بذلك وأخبروا رؤساء الكهنة(٤٧٨) .

ويكفي للرد على اعتقادهم قيامة المسيح وظهوره ، أن الكثير من مؤرخي الديانة النصرانية ، يتساءلون هل قيامة المسيح حقيقة أم أسطورة ؟ يقول القس حنا جرجس الخضري : (إن قيامة المسيح من الأموات مشكلة من المشاكل اللاهوتية التي أثارت عبر التاريخ جدلاً حاراً ومناقشات طويلة مختلفة ومتنوعة ، وأسئلة لاحصر لها ، ومن الأسئلة التي طرحها اللاهوتيون وغير اللاهوتيين ، بخصوص قيامة السيد من الأموات : هل قيامة المسيح من الأموات حقيقة أم أسطورة ؟ هل يسوع الناصري ، ابن مريم الذي صلب على يد بيلاطس البنطي ومات على الصليب ، قام حقيقة من الأموات ؟ وهل يمكننا أن نعتبر حادثة القيامة حادثة وقعت فعلاً كحادثة موته على الصليب ؟ وهل يسوع الناصري قام بجسده البشري ؟)(٤٧٩) .

وبعد هذه الأسئلة ، يذكر القس الخضري ، أن الذين سجلوا حادثة القيامة هم كاتبوا الأناجيل الأربعة ، ثم ذكر أن كتاباتهم فيها شيئاً من التناقض والاضطراب ، إذ يقول : (وإن كانوا في تسجيلهم لهذه الحادثة قد كتبوا بأسلوب قد يظهر للبعض أن فيه شيئاً من عدم الانسجام والتوافق)(٤٨٠) .

بعد ذلك ذكر أن اللاهوتيين تكلموا في هذه القضية كثيراً ، فذكر أن منهم - بوتلمان - الذي : (أراد أن يجعل من القيامة أسطورة) ثم ذكر أن كارل بارت قال عنه : (إن بوتلمان جعل من حادثة القيامة أسطورة مفسراً إياها كميلاد الإيمان في يسوع المقام ، إيمان يرجع أصله إلى الوعظ ، وبوتلمان لا يريد أن يعتبر هذه الحادثة وحوادث الأربعين يوماً التالية لها من الحقائق التاريخية ، إذ أنها لاتخضع للتاريخ ، أي لايمكن إثباتها تاريخياً)(٤٨١) .

وبعد أن ذكر القس الخضري آراء اللاهوتيين ، قال : (إن القيامة من الناحية التاريخية ، تختلف نوعاً عن حادثة الصلب والموت ؛ لأن الذي ينقص حادثة القيامة من الناحية التاريخية ، هو عدم ذكرها في التاريخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن شهود هذه الحادثة شهود منحازون)(٤٨٢) .

ومما يؤكد أن حادثة القيام والصلب والقتل لم تقع ، أن هذه العقيدة كانت موضع خلاف بين النصارى منذ القرن الأول ، فقد رفض كيرنثوس الذي كان معاصراً لتلاميذ المسيح وحوارييه ، والذي نادى بمذهبه سنة ٧٣م ، رفض الإيمان بالاعتقاد بقيامة المسيح من الصلب ، وقال : إنها لم تأت بعد(٤٨٣) .

وإذا كان رجال اللاهوت النصارى ، يعتريهم الشك في حادثة قيامة المسيح وظهوره ، فإن لهم العذر في ذلك ؛ لأن أناجيلهم المقدسة اختلفت أيضاً في وصف أحداث قيامة المسيح وظهوره ، اختلافاً وصل إلى حد التناقض وعدم الاتفاق فيما بينها ، كما اختلفت الأناجيل - من قبل - فيما بينها في الحديث عن أحداث رواية الصلب ، وإذ قد بطلت عقيدة الصلب - كما تبين ذلك في المطلب الأول - فإن عقيدة القيامة باطلة أيضاً ، وبيان ذلك فيما يأتي :

١- أناجيل متى ومرقس ولوقا ذكروا : أنه في فجر يوم الأحد ذهبت بعض النساء إلى زيارة قبر الميت الذي تقول عنه الأناجيل إنه عيسى(٤٨٤) ، وإنجيل يوحنا قال : إن زيارة النساء إلى القبر كانت في الظلام(٤٨٥) .

٢- إنجيلي متى قال : إن النساء الزائرات إلى القبر : مريم الجدلية ومريم الأخرى(أي أم المسيح)(٤٨٦) ، ومرقس قال : مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة(٤٨٧) ، وإنجيل لوقا قال : مجموعة من النساء دون ذكر الأسماء(٤٨٨) ، وإنجيل يوحنا قال : مريم المجدلية فقط(٤٨٩) .

٣- إنجيل متى قال : إنه حدث زلزال عظيم وقت الزيارة(٤٩٠) ، أما أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا : فلم يذكروا شيئاً عن هذا الزلزال (٤٩١) .

٤. إنجيل متى قال : إن ملاك الرب نزل ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه(٤٩٢) ، أما أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا : فلم يذكروا من دحرج الحجر عن باب القبر(٤٩٣) .

٥. إنجيلي متى ومرقس قالا : إن ملاكاً واحداً كان عند القبر (٤٩٤) ، أما إنجيلي لوقا ويوحنا فقالا : إن القبر كان عنده ملاكان(٤٩٥) .

٦. إنجيلي متى ومرقس قالا : إن ملاكاً واحداً أخبر إن الميت خرج من القبر وقام من الأموات(٤٩٦) ، أما إنجيل لوقا فقال : أن ملاكان أخبرا بذلك(٤٩٧) ، وإنجيل يوحنا : لم يذكر شيئاً ، بل قال : إن مريم المجدلية رأت عيسى واقفاً بجانبها وكلمها فعرفته(٤٩٨) .

٧. إنجيل متى قال : إن المسيح ظهر أولاً لمريم المجدلية ومريم الأخرى(٤٩٩) ، وإنجيلي مرقس ويوحنا قالا : إنه ظهر لمريم المجدلية فقط(٥٠٠) ، وإنجيل لوقا قال : إنه ظهر لإثنين من تلاميذه (٥٠١) .

٨. إنجيل متى قال : إن مريم المجدلية ومريم الأخرى عندما عرفتا المسيح ، تقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له ، وقال لهما : قولا لإخوتي يلاقوني في الجليل(٥٠٢) ، أما أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا : فلم يذكروا شيئاً عن ذلك(٥٠٣) .

٩. إنجيل متى قال : إن حراس القبر جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بأن الميت قام من الأموات ، فأعطاهم الشيوخ فضة كثيرة قائلين : (قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام)

(٥٠٤) ، أما أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا : فلم يذكروا شيئاً عن ذلك (٥٠٥) .

١٠- انفرد إنجيل يوحنا بذكر الحوار الذي جرى بين الملاكين ومريم المجدلية التي كانت تسألهم وهي تبكي بحثاً عن جسد المسيح ، وأنها التفتت خلفها فرأت المسيح وهي تظنه البستاني فسألته عن جسد المسيح ، فقال لها : يامريم فعرفته ، وقال لها : لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي .. وقولي لتلاميذي : إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ، وأخبرت التلاميذ بذلك (٥٠٦) ، هذا الحوار لم يأت له ذكر في بقية الأناجيل .

١١- إنجيل يوحنا قال : إن مريم المجدلية عندما وجدت الحجر مدحرجاً عن باب القبر ، أسرعت إلى بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان المسيح يحبه ، وأخبرتهما أن المسيح ليس موجوداً في القبر ، وعادا إلى القبر فلم يجداه ، ما عدا الأكفان(٥٠٧) ، أما إنجيل متى فقال : إن المخبر ملاكاً(٥٠٨) ، وإنجيل مرقس قال : إن المخبر شاباً لابساً حلة بيضاء(٥٠٩) ، وإنجيل لوقا قال : إن رجلين هما اللذان جاءا بالخبر أن المسح قام من الأموات وخرج من القبر(٥١٠) .

١٢- إنجيل متى قال : إن الذي أخبر الحواريين بقيام المسيح من الأموات هما مريم المجدلية ومريم الأخرى(٥١١) ، وإنجيل مرقس قال : إنها مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة(٥١٢) ، وإنجيل لوقا قال : جمع من النساء دون تحديد عددهن(٥١٣) ،

وإنجيل يوحنا قال : إن المسيح ظهر عشية أول الأسبوع وسطهم فجأة ، والأبواب مغلقة(٥١٤) .

١٣- إنجيل متى لم يذكر رد فعل الحواريين عندما علموا أن جسد المسيح غير موجود في القبر وأنه قام حياً(٥١٥) ، وإنجيل مرقس قال : إن التلاميذ ينوحون ويبكون ، ولما أخبرتهم مريم المجدلية بقيامة المسيح لم يصدقوا(٥١٦) ، وإنجيل لوقا قال : ذهب بطرس بنفسه لينظر داخل القبر ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجباً في نفسه مما كان ، أما بقية التلاميذ فكان الخبر عن قيامة المسيح كالهذيان فلم يصدقوا(٥١٧) ، وإنجيل يوحنا قال : ذهب بطرس مع التلميذ الآخر الذي كان المسيح يحبه ، لينظرا إلى القبر ، فرأى التلميذ الآخر وآمن ، ولم يذكر أن بطرس تعجب ، ولا عن رد الفعل عند بقية التلاميذ(٥١٨)

١٤- إنجيل متى قال : إن مريم المجدلية ومريم الأخرى ، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما ، ولم يحدد مكان اللقاء(٥١٩) ، وإنجيل مرقس قال : إن مريم المجدلية ومريم الأخرى بعد أن خرجتا من القبر انطلقتا لتخبرا التلاميذ أن المسيح قام من القبر ، وبعد قيامته باكراً أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية ، ولم يحدد أين ظهر المسيح أول ما ظهر لهما(٥٢٠) ، وإنجيل لوقا قال : إن المسيح ظهر لإثنين منهم على الطريق بين أورشليم وعمواس(٥٢١) ، وإنجيل يوحنا قال : إنه ظهر لمريم المجدلية قرب القبر حين التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع(٥٢٢) ، ثم ذكر إنجيل متى أن المسيح التقى مرة أخرى بالحواريين في الجليل حيث أمرهم المسيح(٥٢٣) ، وإنجيل مرقس لم يحدد مكان هذا اللقاء(٥٢٤) ، وإنجيل لوقا

قال : في أورشليم(٥٢٥) ، ويوحنا قال : التقى بهم مرتين في أورشليم حين دخل عليهم والأبواب مغلقة(٥٢٦) ، ومرة أخرى عند بحر طبرية(٥٢٧) .

١٥. إنجيل متى قال : إن المسيح ظهر مرتين ، مرة للمريمين(٥٢٨) ، ومرة للحواريين(٥٢٩) ، وإنجيل مرقس قال : ثلاث مرات ، مرة لمريم المجدلية(٥٣٠) ، ومرتين لإثنين من الحواريين(٥٣١) ، ومرة للأحد عشر حواريا(٥٣٢) ، وإنجيل لوقا قال : مرتين ، مرة لإثنين من الحواريين(٥٣٣) ، ومرة للأحد عشر حواريا(٥٣٤) ، وإنجيل يوحنا قال : أربع مرات ، مرة لمريم المجدلية(٥٣٥) ، ومرة لعشرة تلاميذ(٥٣٦) ، ومرة للأحد عشر(٥٣٧) ، ومرة للأحد عشر عند طبريا(٥٣٨) ، أما ظهور المسيح للحواريين جميعاً ، فإن أناجيل متى ومرقس ولوقا قالوا : مرة واحدة(٥٣٩) ، وإنجيل يوحنا قال : ثلاث مرات(٥٤٠) .

إضافة إلى ذلك فقد ذكر مؤلف الفارق الكثير من اختلاف الأناجيل وتناقضها في أحداث قيامة المسيح ، ثم قال : (فنخلص من تلك الحكاية خمسة أمور : الأول : اختلافهم في نزول الملك من السماء ، ولم يذكر النزول غير المترجم (يعني إنجيل متى) وغرضه التوطئة لأحداث الزلزلة التي انفرد بذكرها ، الثاني : تصريح المترجم بأن نزول الملك من السماء بحضور مريم المجدلية ومريم الثانية ، حتى لايتبادر إلى الأذهان أن الذي كلمها من القبر رجل من البشر ، بل هو ملك بدليل نزوله من السماء بحضورهما ، وحدثت زلزلة عند رفع الحجر وهما ينظرانه بأعينهما ، فنقول للمترجم - حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء - لأنه لو صح هذا الافتراء لثبت بالبداهة عدم صلب عيسى - عليه السلام - إذ لم يظهر

في القبر جسد وهو صريح ، فقد ثبت أن هذا من مخترعات المترجم لتلك الغاية التي ذكرناها ، وهذه الأناجيل الثلاثة تفيد خلافه ، فرواية مرقس تفيد أنهن رأين القبر مفتوحاً قبل حضورهن ، وحين دخلن القبر رأين شاباً ، ورواية لوقا خلافهما إذ قال : فإنهن رأين الحجر مرفوعاً قبل حضورهن ، وبعد دخولهن القبر لم يجدن فيه جسداً ولا ملكاً ولا شاباً فوقعن في الحيرة ، وفيما هن محتارات وإذ رجلان ..ألخ ، وحكاية مريم في يوحنا مخالفة للأناجيل الثلاثة ؛ لأنها ذكرت بأنها رأت القبر مفتوحاً وليس فيه جسد ولا ملائكة ، فركضت وأخبرت بطرس ويوحنا ، وبعد مجيئهما وجدوا القبر خالياً وليس فيه ملك ولا رجل ولا شاب ، وبعد رجوع التلميذين لمحلهما قالت إنها تراآى لها ملكان داخل القبر ، ولا يشك مسيحي في أن هذا التناقض يكذب القضية ، ولقد أغرب يوحنا إذ جعل رؤية الملائكة بعد عودها ثانياً إلى القبر ، خلافاً للأناجيل الثلاثة ، وما هذا إلا أكاذيب من الأساقفة ألحقت في إنجيله بعد موته كما ألحقت فيه روايات لاهوت المسيح ، الثالث : تناقض الروايات في قصة هذا الملك ، وقد علمت من رواية المترجم (إنجيل متى) أن منظره كالبرق ، ولباسه كالثلج ، ولم يقل : إنه شاب أو شيخ ، وهذا مرقس يصفه بالشباب ، وأنه كان جالساً يمين القبر ، لابساً حلة بيضاء ، ولوقا قال : إنهما ملكان بثياب براقة ، ويوحنا يقول : بثياب بيض ، فكان الوصف الذي رواه المترجم اقتسماه لوقا ويوحنا ، الرابع : اختلاف الرواة في العدد والمكان الذي رأين فيه الملائكة ، وهذه زلة لايجبر كسرها ، فإن المترجم ومرقس يقولان : إنه واحد ، واختلفا في كونه ملاكاً أو شاباً ، ولوقا ويوحنا يقولان : بأنهما اثنان ، واختلفا في كونهما رجلين أو ملكين ، فصدق أحدهم دليل على كذب الثلاثة الأخر ، ولا مرجح لإحدى الروايات على الأخرى ، وهذا دليل على سقوطها جملة ، الخامس : اختلاف حكم الخبر باختلاف عدد

الملائكة ؛ لأن خبر الواحد دون خبر الإثنين ، ومنه يظهر صدق الخبر أو كذبه ، ثم إن المفهوم من عبارتي المترجم ومرقس أن ماذكره المسيح من حديث قيامه بعد صلبه ، كان معهوداً إلى التلاميذ ، والمتبادر من عبارة لوقا أنه كان معهوداً عند النسوة ، لقول الملائكة : اذكرن كيف كلمكن ، وهو بعد في الجليل ، وكما أن هذا مفهوم من صريح عبارة لوقا خلافاً لصاحبيه ، كذلك يفهم من نصه الصريح أن الملائكة لم يأمروا النسوة بإخبار ذلك للتلاميذ ، ولا بإبلاغهم أنه يسبقهم إلى الجليل ، ورواية يوحنا خالية من هذه المحاورة التي جرت بين المجدلية والملائكة ، واختصاصها بهذا الوحي دون أمه العذراء رضي الله عنها ، بل دون تلاميذه الذين هم أحباؤه وخلفاؤه من بعده ، قرينة واضحة على كذب الروايات) (٥٤١) .

ويتبين من هذا أن الأناجيل اختلفت في وصف قيام المسيح من القبر - على زعمهم - والاختلاف فيما بينها وتناقضها في وصف هذا الحدث الذي هو من أصول عقائد النصارى ، يدل على أن المسيح لم يخرج من القبر ؛ لأنه لم يوضع فيه أصلاً ، لأن حادثة الصلب والقتل لم تقع ، كما عرفنا في المطلب السابق .

مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

خاتمة البحث

وبعد أن تم - بحمد الله - ختام هذا البحث من هذه الدراسة النقدية لبيان بطلان عقيدة ألوهية المسيح عند النصارى ، فقد تم التوصل إلى النتائج الآتية :

١- بطلان اعتقاد النصارى أن الكلمة التي هي الله في زعمهم ، تجسدت في المسيح عليه السلام ، وبيان تناقض الدليل الذي يزعمون أنه دليلهم في ذلك ، لأن الكلمة صفة ، والصفة غير الموصوف ، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، لوجوب مغايرة الصفة للموصوف ، والمسيح سمي كلمة الله بطريق المجاز ، ومعناه الحقيقي هو (كن)التي بها توجد الكائنات ، وأطلقت على المسيح من إطلاق اسم السبب على المسبب .

٢- أن النصوص الإنجيلية التي تطلق على المسيح - عليه السلام - أنه ابن الله ، وأن الله أباه ، وكذا النصوص التي ظاهرها المساواة بين الله وبين المسيح ، تلك النصوص من العبارات المجازية التي ورد ذكرها في التوراة وكتب الأنبياء ، وأنها أطلقت على الأنبياء السابقين قبل المسيح ، كما أنها أطلقت على أتباع المسيح من رسله وحوارييه ، فهي ليست خاصة بالمسيح ، كما يعتقد الذين جعلوها برهاناً على ألوهيته .

٣- بطلان اعتقاد النصارى بوراثة الخطيئة في آدم ونسله ، وأن المسيح هو الفادي للناس لتكفير ذنوبهم ، وذلك مردود بنصوص كتبهم التي تجعل من كل إنسان مسئول عن ذنبه .

٤. بطلان اعتقاد النصارى أن التوراة بشرت بظهور ابن الله من عذراء ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ، وبيان أن هذه البشارة لا صلة لها بالمسيح ، وأن معناها (إلهنا معنا) بمعنى معية الله لخلقه ، وحفظه ورعايته لهم ، وقد حرف النصارى البشارات الواردة في التوراة عن المسيح - عليه السلام - بما يتفق مع اعتقادهم ألوهيته تعالى الله عن قولهم .

٥. تبين لنا أن الإعجاز في خلق المسيح - عليه السلام - من غير أب ليس دليلاً على ألوهيته ، وليس دليلاً على أن الله أبوه ، فليس الإعجاز في خلق المسيح من أنثى دون ذكر ، بأعظم من الإعجاز في خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، ولا بأعظم من الإعجاز في خلق حواء من ذكر دون أنثى ، وهم لا يقولون بألوهية آدم وحواء ، فإذا بطل تأليههما ، فيلزم منه بطلان ألوهية المسيح .

٦. إن معجزات المسيح - عليه السلام - في إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وشفاء المرضى ، والعلم ببعض المغيبات ، وغيرها من المعجزات ، التي يجعلها النصارى دليلاً على ألوهية المسيح ، ليست من خصوصيات المسيح حتى تكون دليلاً على ألوهيته ، فقد أجرى الله مثلها وأعظم منها على يد الأنبياء والرسل السابقين وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد عرفنا الكثير من الشواهد الدالة على ذلك .

٧. بطلان اعتقاد النصارى أن المسيح - عليه السلام - صلب ودفن في قبره ، وقام من الأموات في اليوم الثالث ، وبطلان اعتقادهم أن ذلك دليلاً على ألوهيته ، بدليل اختلاف الأناجيل في أحداث القبض عليه ، ومحاكمته ، واختلافها في رواية حامل الصليب ، وإنكار

رسله له واختلافهم حوله ليلة القبض عليه ، وتعارض هذه الأحداث مع بعض الشواهد الإنجيلية التي تذكر أن الله عز وجل تكفل بحفظ المسيح ، وأن أعداءه لن يستطيعوا الإمساك به ، وتعارض عقيدة الصلب مع العقل والنقل ، إذ كيف يجوز الامتهان والذل والهوان لمن يزعمون أنه إلههم، وإذا بطلت عقيدة الصلب نقلاً وعقلاً ، فإن اعتقادهم ألوهيته يكون باطلاً ، وقد أخبر الله عز وجل عن بطلان اعتقادهم قتله وصلبه ، وأن الله أنجاه منهم ، وأخبر سبحانه عن كفر من اعتقد ألوهية المسيح ، وإنهم إن لم ينتهوا عن هذا الاعتقاد ، فإن مصيرهم إلى النار .

وبنهاية هذه الخاتمة نأتي على نهاية هذا البحث ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت للصواب ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامش والتعليقات

(١) انظر ابن تيمية . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٣١٧-٣١٨

(٢) انظر الإمام أبي حامد الغزالي . الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص ١١٦

(٣) انظر الإمام صالح بن الحسين الجعفري . تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/٢٤٣

(٤) إنجيل يوحنا ٣/١٦-١٧ ، وانظر القمص ميخائيل جرجس . علم اللاهوت العقيدي ٢/٢١

(٥) إنجيل يوحنا ١/١ ، وانظر القمص ميخائيل جرجس . علم اللاهوت العقيدي ٢/٢١

(٦) إنجيل يوحنا ١/١٤

(٧) براهين ألوهية المسيح ص ٢٠ - ٢٥.

(٨) زكي شنودة - موسوعة تاريخ الأقباط ١/٢٤٣ - ٢٤٤ وانظر حنا جرجس الخضري - تاريخ الفكر المسيحي ١/٢٦ - ٣٠ ، وانظر القمص ميخائيل جرجس . علم اللاهوت العقدي ٢/١١ وما بعدها.

(٩) سفر التكوين ٣/١٠ - ١٥

(١٠) رسالة يوحنا الأولى ٣/٨

(١١) حنا الخضري - تاريخ الفكر المسيحي ١/٢٦ - ٣٠، وانظر القمص ميخائيل جرجس . علم اللاهوت العقدي ٢/٢١ وما بعدها.

(١٢) سفر أشعياء ٧/١٤ - ١٥.

(١٣) إنجيل متى ١/ ٢١ - ٢٣

(١٤) حنا الخضري - تاريخ الفكر المسيحي، ٤ / ٦٣١، وزكي شنودة - موسوعة تاريخ الأقباط١/.١٤٣
(١٥) إنجيل يوحنا ١/١ - ١٤
(١٦) عبدالله العلمي. سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص ٣٠٥-٣٠٦
(١٧) سفر أرميا ١٤/٣٣
(١٨) سفر أشعيا ٣/٢-٤
(١٩) سفر المزامير ٤٣/١٠٥
(٢٠) سفرالأيام الأولى ١٥/١٦-١٦
(٢١) إنجيل لوقا ١/١
(٢٢) رؤيا يوحنا ١٣/١٩
(٢٣) إنجيل يوحنا ٢٦/٥-٢٨
(٢٤) سورة آل عمران آية ٣٩
(٢٥) ابن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج ٣ج ٣ ص ٢٥٢-٢٥٣
(٢٦) انظر لكاتب هذا البحث : (المسيح عيسى ابن مريم. كلمة الله ألقاها إلى مريم. مبحث : حقيقة الكلمة)
(٢٧) سفر الخروج ٢٧/٣٤-٢٨
(٢٨) سفر الخروج ١/٣٥
(٢٩) سفر أرميا ٤/٢
(٣٠) إنجيل لوقا ١/٥-٤
(٣١) إنجيل لوقا ١١/٨-١٥ ، ومتى ١٨/١٣-٢٣ ، ومرقس ١٣/٤-٢٠
(٣٢) سفر أعمال الرسل ٧/٦-٨
(٣٣) سفر أعمال الرسل ٤/٨ ، ١٤ ، ٢٥

(٣٤) سورة الأنعام آية ١١٥
(٣٥) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/٢
(٣٦) سورة الكهف آية ٢٧
(٣٧) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ١٣١/٣
(٣٨) سفر أرميا ٤/١-٥ ، ١١ ، ١٣
(٣٩) سفر أرميا ١/١٤
(٤٠) إنجيل لوقا ٢٨/١١
(٤١) أعمال الرسل ٧/١٥
(٤٢) سورة آل عمران آية ٤٥
(٤٣) ابن جرير. جامع البيان مج ٣ ج ٣ ص ٢٦٩ ، وابن كثير. تفسير القرآن ٥٤٥/١
(٤٤) سورة النساء آية ١٧١
(٤٥) ابن كثير. تفسير القرآن ٨٩٨/١-٨٩٩
(٤٦) سورة الأعراف آية ١٣٧
(٤٧) سفر حزقيال ٢٨/١٢
(٤٩) سفر أرميا ١٠/٢٩
(٥٠) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٢/٤
(٥١) إنجيل متى ٣٤/٢٤-٣٥ ، ومرقس ٣٠/١٣-٣١
(٥٢) سورة الصافات آية ١٧١-١٧٣
(٥٣) ابن جرير. جامع البيان مج ١٢ ج ٢٣ ص ١١٤
(٥٤) سورة غافر آية ٦
(٥٥) ابن جرير. جامع البيان مج ١٢ ج ٢٤ ص ٤٣
(٥٦) سفر المزامير ١٥/١٠٧
(٥٧) سفر المزامير ٢٠/١٠٧
(٥٨) سفر المزامير ١١/٦٨

(٥٩) سفر أشعيا ١١/٥٥
(٦٠) إنجيل يوحنا ٣١/٨-٣٢
(٦١) إنجيل يوحنا ٢٣/١٤-٢٥
(٦٢) سورة البقرة آية ١٢٤
(٦٣) ابن جرير ـ جامع البيان مج ١ ج ١ ص ٥٢٤
(٦٤) سفر الأمثال ١٥/١٤
(٦٥) سفر الأمثال ٥/٣٠
(٦٦) انظر عبد الكريم الخطيب - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ١٢٦
(٦٧) هو : عبدالرحمن بن سليم بن عبدالرحمن ابن الباجه جي زادة ن عالم حنفي المذهب ، من أعيان العراق ، موصلي الأصل ، ولد في بغداد عام ١٢٤٨ هـ ، وعاش ومات فيها ، وكانت وفاته عام ١٣٣٠ هـ ، كان رئيساً لمحكمة بغداد التجارية ، وانتخبته نائباً في المجلس العثماني ، صنف كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) مطبوع ، وذيله المطبوع معه ، انظر الزركلي ـ الأعلام ٣٠٧/٣
(٦٨) عبد الرحمن باجه جي زاده - الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٣ (ولمعرفة المزيد عن كون الصفة عين الموصوف أو مغايرة لها. انظر ابن تيمية - الفتاوى - كتاب الأسماء والصفات ، ج ٦ ص ٩٥ - ٩٧ ، وص ١٤٤ - ١٤٦) .
(٦٩) إنجيل يوحنا ١٨/١
(٧٠) سفر التكوين ١/١
(٧١) انظر محمد علي الخولي ـ مقارنة بين الأناجيل الأربعة ص ١٤٢
(٧٢) سورة النساء آية ١٧١
(٧٣) سورة آل عمران آية ٤٥

(٧٤) سورة آل عمران آية ٥٩
(٧٥) سفر التكوين ١/٤
(٧٦) سفر التكوين ٢٤/١٩
(٧٧) سورة مريم آية ٥٥
(٧٨) سورة آل عمران آية ١٦٩
(٧٩) سورة التحريم آية ١١
(٨٠) إنجيل يوحنا ١٤/٦ - ١٥.
(٨١) إنجيل متى ٢١/١٥ - ٢٣
(٨٢) إنجيل يوحنا ١٩/٤ - ٢٦
(٨٣) سورة الصف آية ٦
(٨٤) سورة النساء آية ١٧١
(٨٥) آل عمران ٤٩ - ٥١
(٨٦) المائدة ١١٦ - ١١٧
(٨٧) المائدة ٧٢ - ٧٤
(٨٨) إنجيل يوحنا ١٧/٣
(٨٩) إنجيل لوقا ٦٨/١
(٩٠) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ١٢/٢
(٩١) رسالة بولس إلى رومية ٢٤/٣
(٩٢) انظر محمد عزت الطهطاوي ـ النصرانية في الميزان ص ٢٥٥
(٩٣) سفر الخروج ١٣/١٤
(٩٤) سورة الشعراء آية ٦٥-٦٦
(٩٥) سفر الخروج ٢٠/٢٣
(٩٦) سفر أشعيا ٩/٦٣
(٩٧) سورة الرعد آية ١١
(٩٨) سورة الانفطار آية ١٠

(٩٩) سفر صموئيل الأول ١٤/٤٥
(١٠٠) سورة يوسف آية ٤٢
(١٠١) إنجيل لوقا ٧/٩٠
(١٠٢) إنجيل لوقا ١٧/١٩
(١٠٣) إنجيل يوحنا ١٠/٩
(١٠٤) سورة الأحزاب آية ٤٣
(١٠٥) سورة الحديد آية ٩
(١٠٦) سفر التثنية ٧/٨
(١٠٧) سفر أشعيا ٥٢/٩
(١٠٨) سفر المزامير ٣١/٥
(١٠٩) سفر المزامير ٧٢/١٤
(١١٠) سفر صموئيل الأول ١٤/٤٥
(١١١) سفر الخروج ٢١/٣٠
(١١٢) سفر العدد ١٨/١٥
(١١٣) سورة الصافات آية ١٠١-١٠٧
(١١٤) إنجيل متى ١٦/٢٦
(١١٥) سورة المعارج آية ١١
(١١٦) سورة الزمر آية ٤٧
(١١٧) سورة الحديد آية ١٥
(١١٨) سفر حزقيال ١٨/٢
(١١٩) سفر رومية ٢/٦
(١٢٠) إنجيل متى ١٦ / ٢٦
(١٢١) إنجيل متى ٢٣/٣٣

al-maktabeh
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

(١٢٢) الإمام القرطبي هو : شمس الدين : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، لم يذكر العلماء سنة ميلاده ، من كبار المفسرين ، مؤلف كتاب (الجامع لأحكام القرآن) وله مؤلفات أخرى ، وينسب إليه كتاب في الرد على النصارى باسم (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، وإظهار محاسن دين الإسلام ، وإثبات نبوة محمد عليه السلام) ن توفي رحمه الله سنة ٦٧١هـ (انظر نفح الطيب ٤٢٨/١ ، والديباج المذهب ٣١٧ ، وتاريخ الشعوب الإسلامية ، لبروكلمان ص ٢١٩) .

(١٢٣) يقصد يهوذا الأسخريوطي.

(١٢٤) سورة الزمر آية ٦٠ .

(١٢٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ٤١٧/٤ - ٤١٨

(١٢٦) الإمام القرافي هو : أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبو العباس ، الملقب بشهاب الدين ، المعروف بالقرافي نسبة إلى قبيلة سكنت مصر، له مؤلفات في الفقه وأصوله ، وفي العقائد والديانات ، عالم مشهور انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب الإمام مالك ، من أفاضل علماء عصره ، توفي سنة ٦٨٤هـ (انظر ابن فرحون - الديباج المذهب ٢٣٦/١-٢٣٩ ، والسيوطي - حسن المحاضرة ..١/ ٣١٦ ، والذهبي - تاريخ الإسلام ٩٨/١) .

(١٢٧) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ١٠١

(١٢٨) النساء ١٥٧ - ١٥٨

(١٢٩) سفر أشعياء ١٤/٧ - ١٥

(١٣٠) إنجيل متى ١/ ٢٣

(١٣١) الفيروزبادي - القاموس المحيط مادة(عذر) ، والرازى - مختار الصحاح مادة (عذر) .

(١٣٢) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ١٧٨ ، وانظر عبد الرحمن باجه جي زاده - الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨

(١٣٣) إنجيل متى ١/ ٢٤

(١٣٤) إنجيل متى ١/ ٢٠-٢١

(١٣٥) إنجيل متى ١/ ٢٢-٢٣

(١٣٦) إنجيل متى ١/ ٢٤-٢٥

(١٣٧) إنجيل لوقا ١/ ٢٦-٣٣

(١٣٨) إنجيل متى ١ / ٢١

(١٣٩) إنجيل لوقا ١/ ٣١

(١٤٠) الشيخ رحمت الله الهندي هو: محمد بن رحمت الله بن خليل الله الكيرانوي العثماني ، ولد بحي (دربار كلان) في قرية كيرانه بمحافظة مظفر ناجار من توابع دلهي. عاصمة الهند. في غرة جمادى الأولى ١٢٣٣هـ ، اشتهرت أسرته بطلب العلم والطب والمناصب العالية ، حفظ القرآن الكريم ، وتعلم على يد والده وكبار أسرته ، ارتحل إلى عدة أماكن في طلب العلم ، عاصر الاستعمار الإنجليزي لبلاد الهند ، وشاهد الجمعيات التنصيرية تمارس نشاطها ضد المسلمين ، فألف عدة كتب في الرد عليهم ، منها : إظهار الحق ، إزالة الأوهام ، إزالة الشكوك ، الإعجاز العيسوي ، أحسن الأحاديث في إبطال التثليث ، وأشهر نشاطه الدعوي : مناظرته مع القسيس فندر ، سافر إلى مكة وأسس فيها المدرسة الصولتية وما تزال حتى الآن ، توفي بمكة سنة ١٣٠٨هـ ، (انظر إظهار الحق. مقدمة محمد مسعود ١/ ١٩-٣٥).

(١٤١) عبد الرحمن باجه جي زاده - الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨ ، ورحمت الله الهندي. إظهار الحق ٢/ ٣٠٥-٣٠٦

(١/١٤٢) الإمام ابن تيمية هو : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، ولد في دمشق سنة ٦٦١هـ ، يعتبر من كبار الأئمة المجتهدين ، ومن علماء الإسلام المشهورين ، ومن كبار المصلحين ، له تصانيف تزيد على أربعة آلاف كراسة ، عالم في التفسير والفقه وأصوله والحديث والمنطق ، ومن اشهر مؤلفاته في الرد على النصارى : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، والرسالة القبرصية ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ ، (انظر : الذهبي. تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤ ، وابن كثير. البداية والنهاية ١٦٣/١٤ ، والشوكاني. البدر الطالع ٦٣/١) .

(٢/١٤٢) سورة الصف آية ١٤

(١٤٣) سورة آل عمران آية ٥٥

(١٤٤) ابن تيمية - الجواب الصحيح ٢١٢/٢ - ٢١٣

(١٤٥) سفر الخروج ١٦/٤

(١٤٦) سفر الخروج ١/١٧

(١٤٧) سفر المزامير ٦/٨٢

(١٤٨) إنجيل يوحنا ٩/١٤

(١٤٩) إنجيل يوحنا ٣٠/١٠

(١٥٠) إنجيل يوحنا ٤٥/١٢

(١٥١) ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٤٠/٢ - ٣٤١، وقد نقلت النصوص التي استشهد بها الحسن بن أيوب من التوراة والإنجيل من كتاب النصارى المقدس ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

(١٥٢) سورة النحل آية ١٢٨

(١٥٣) سورة الحديد آية ٤

(١٥٤) سورة التوبة آية ٣٦
(١٥٥) حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ٦٣١/٤ ، وزكي شنودة - موسوعة تاريخ الأقباط ١٤٣/١
(١٥٦) انظر حنا الخضري - تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ١٩٠
(١٥٧) إنجيل متى ٢٧/١١
(١٥٨) براهين ألوهية المسيح ص ٥٥
(١٥٩) سفر التثنية ٦/٣٢
(١٦٠) سفر أشعيا٨/٦٤
(١٦١) سفرأشعيا١٦/٦٣
(١٦٢) سفرأرميا٩/٣١
(١٦٣) سفر الملوك الأول ٦/٩
(١٦٤) سفر المزامير٢٦/٨٩
(١٦٥) سفر صموئيل الثاني١٢/٧-١٤
(١٦٦) سفر المزامير٥/٦٨
(١٦٧) سفر الأيام الأول١٣/١٧
(١٦٨) سفر الأيام الأول١٠/٢٢
(١٦٩) إنجيل متى ٩/٢٣-١٠
(١٧٠) إنجيل لوقا٣٦/٦
(١٧١) إنجيل لوقا٢٩/١٢-٣٢
(١٧٢) إنجيل متى ١٤/٦-١٥
(١٧٣) انظر إنجيل متى١٦/٥، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٣/٦-٤ ، ٧-٩ ، ١٧ - ١٨ ، وإنجيل يوحنا ٤١/٨-٤٢
(١٧٤) إنجيل يوحنا ١٧/٢٠
(١٧٥) رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي ١١/٣.

(١٧٦) رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي٢/١٦
(١٧٧) سفر الخروج ٤/٢٢
(١٧٩) سفر المزامير ٨٩/ ٢٦ - ٢٧
(١٨٠) سفر صموئيل الثاني ١٧/٢٤
(١٨١) سفر المزامير ٢/٦
(١٨٢) سفر أخبار الأيام الأول ٢٢/١٠
(١٨٣) سفر التكوين ٦/١-٢
(١٨٤) سفر المزامير ٦٨/٥
(١٨٥) انظر سفر التثنية ١٤/ ١ ،١٩/٣٢، وأشعياء ١/ ٢ ،١/٣٠ ، ٦٣/ ٨
(١٨٦) انظر سفر أشعياء ١٦/٦٣ ،٨/٦٤ ، وسفر أيوب ٧/٣٨ ، وهوشع ١٠/١
(١٨٧) سفر التثنية ١/١٤
(١٨٨) سفر المزامير ٧/٢
(١٨٩) إنجيل لوقا ٣٨/٣
(١٩٠) إنجيل لوقا ٣٦/٢٠
(١٩١) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩/٢
(١٩٢) إنجيل متى ٩/٣٢
(١٩٣) إنجيل متى ٩/٦-١٠
(١٩٤) رسلة بولس إلى أهل رومية ١٤/٨-١٥
(١٩٥) إنجيل متى ٩/٥
(١٩٦) إنجيل يوحنا ١٧/٢٠
(١٩٧) إنجيل يوحنا ١٢/١-١٣
(١٩٨) انظر إنجيل يوحنا ٣/٣ ، ٧
(١٩٩) رسالة بطرس الأولى ٣/١

www.al-maktabeh.com مكتبة المهتدين

(٢٠٠) رسالة يوحنا الأولى ٧/٤
(٢٠١) انظر رسالة يوحنا الأولى ٩/٢-١٠ ،٢٩ ، ٨/٣-١٠ ، ١/٥-٤ ، ١٨
(٢٠٢) انظر ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٢٦ - ٢٢٧
(٢٠٣) سورة المؤمنون آية ٩١
(٢٠٤) انظر عبد الرحمن باجه جي زاده - الفارق بين المخلوق والخالق ص ١١٧ - ١١٨
(٢٠٥) انظر ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٢٣ - ٢٢٤ وعبدالعظيم المطعني - الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٣٧٦ - ٣٧٧
(٢٠٦) سورة آل عمران آية ٥٩
(٢٠٧) ابن جرير الطبري - جامع البيان ٣/ ٢٩٥
(٢٠٨) سورة النساء آية ١٧١
(٢٠٩) تفسير أبو السعود ٤٠١/١
(٢١٠) سورة آل عمران آية ٤٥
(٢١١) ابن جرير الطبري - جامع البيان ٦/ ٣٥
(٢١٢) تفسير القرطبي ٢٢/٦ ، والآية ٤٥ من سورة آل عمران .
(٢١٣) سورة الأعراف آية ١٧٢
(٢١٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كتاب التوحيد ص ١٩
(٢١٥) ابن جرير - جامع البيان ٣٥/٦ - ٣٦
(٢١٦) سورة المائدة آية ١١٠
(٢١٧) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ٨٩٩/١

(٢١٨) رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قوله تعالى (وإذ قالت الملائكة يا مريم) حديث ٣٤٣٥ ج ٤ ص ١٣٢ ومسلم كتاب الإيمان - باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك ١/ ٤٢

(٢١٩) سورة الجاثية آية ١٣

(٢٢٠) سورة الشمس آية ١٣

(٢٢١) سورة الحج آية ٢٦

(٢٢٢) الحديث رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري من حديث طويل عن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم -كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى : (وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) حديث رقم ٧٤٤٠

(٢٢٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ١/ ٨٩٩ - ٩٠٠.

(٢٢٤) سورة مريم آية ٢١

(٢٢٥) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ١٨٧/٣

(٢٢٦) سورة الأنبياء آية ٩١

(٢٢٧) سورة المؤمنون آية ٥٠

(٢٢٨) انظر ابن جرير الطبري. جامع البيان مج ١٠ ج ١٧ ص ٨٤ ، ج ١٨ ص ٢٥

(٢٢٩) العلامة ابن القيم الجوزية هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، أبو عبدالله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية ، ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ ، من أشهر تلاميذ ابن تيمية ، له مؤلفات كثيرة في الفقه وأصوله والعقائد ، ومن أشهر كتبه في في الرد على النصارى:هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وله رد عليهم في كتابه: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ (انظر : ابن رجب. ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢ ، وابن كثير. البداية والنهاية ٢٠٢/١٤) .

(٢٣٠) سورة مريم آية ٩
(٢٣١) رواه البخاري - كتاب التفسير- باب تفسير قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الله ولداً) من سورة البقرة حديث رقم ٤٤٨٢ ، وتفسير سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) حديث رقم ٤٩٧٥
(٢٣٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/٣٠٤ - ٣٠٥
(٢٣٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٢٣
(٢٣٤) سورة الأنعام آية ٥٩
(٢٣٥) ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٣٩ - ٢٤٠
(٢٣٦) زكي شنودة . موسوعة تاريخ الأقباط ص ٢٤٠-٢٤١
(٢٣٧) القمص ميخائيل جرجس . علم اللاهوت العقدي ١/١٦٤-١٦٥
(٢٣٨) إنجيل متى ١١/٢٧
(٢٣٩) إنجيل يوحنا ١٤/٩-١٠
(٢٤٠) إنجيل يوحنا ١٦/١٥، ١٧/١٠
(٢٤١) انظر القمص ميخائيل جرجس ت علم اللاهوت العقدي ١/١٧٦-١٨١ ، والقس وديع ميخائيل . براهين ألوهية المسيح ص ٣٣-٤١ ، وزكي شنودة . موسوعة تاريخ الأقباط ص ٢٤٢-٢٤٣
(٢٤٢) إنجيل يوحنا ١٠/٣٠
(٢٤٣) إنجيل يوحنا ١٠/٣٢
(٢٤٤) إنجيل يوحنا ١٠/٣٣
(٢٤٥) إنجيل يوحنا ١٠/٣٤-٣٦
(٢٤٦) سفر المزامير ٨٢/٦-٧
(٢٤٧) سفر الخروج ٧/١-٢
(٢٤٨) عبدالرحمن باجه جي زادة . الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٧٦

(٢٤٩) الإمام الغزالي هو : أبو حامد محمد بن محمد البرهان الغزالي ، ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ ، يلقب بحجة الإسلام ، فيلسوف ومتصوف ، عالم في الفقه الشافعي ، له نحو مائتي مصنف ، منها : إحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة ، والمستصفى في أصول الفقه ، والرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، وله مؤلفات أخرى ، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ (انظر ابن خلكان . وفيات الأعيان ٢١٦/٤ ، والزركلي . الأعلام ٢٢/٧) .

(٢٥٠) الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص ١٢٠-١٢١

(٢٥١) إنجيل يوحنا ٩/١٤-١١

(٢٥٢) إنجيل يوحنا ٣٧/٥

(٢٥٣) إنجيل يوحنا ١٨/١

(٢٥٤) رسالة يوحنا الأولى ٢٠/٤

(٢٥٥) رسالة يوحنا الأولى ١٢/٤

(٢٥٦) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ١٦/٦

(٢٥٧) سفر الخروج ٢٠/٣٣

(٢٥٨) سورة الأعراف آية ١٤٣

(٢٥٩) انظر محمد عزت الطهطاوي . النصرانية في الميزان ص ٢٨٢-١٨٢

(٢٦٠) إنجيل يوحنا ٢٠/١٤

(٢٦١) إنجيل يوحنا ٢١/١٧-٢٣

(٢٦٢) رسالة يوحنا الأولى ٥/١-٧ ، وانظر رحمت الله الهندي . إظهار الحق ٧٦٠/٣

(٢٦٣) انظر الإمام الغزالي . الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص ١٢٥

(٢٦٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٩/٦

(٢٦٥) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٦/٦

(٢٦٦) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٦/٤
(٢٦٧) إنجيل متى ٤٠/١٠
(٢٦٨) إنجيل لوقا ٤٨/٩
(٢٦٩) إنجيل لوقا ١٦/١٠
(٢٧٠) سورة الفتح آية ١٠
(٢٧١) رسالة يوحنا الأولى ٢٤/٣، وانظر رحمت الله الهندي. إظهار الحق ٧٦٣/٣-٧٦٤
(٢٧٢) سورة آل عمران آية ٥٩
(٢٧٣) سورة آل عمران آية ٤٧
(٢٧٤) إنجيل لوقا ٣١/١
(٢٧٥) إنجيل لوقا ٦/٢
(٢٧٦) إنجيل لوقا ١٠/٢-١٦
(٢٧٧) إنجيل لوقا ٢١/٢
(٢٧٨) إنجيل لوقا ٢٢/٢-٢٤
(٢٧٩) إنجيل لوقا ٤١/٢-٤٧
(٢٨٠) إنجيل متى ١٣/٣-١٧
(٢٨١) انظر عبدالحمن باجه جي زادة. الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٣-٣٤
(٢٨٢) إنجيل متى ١/٤-١١، وإنجيل لوقا ١/٤-١٣
(٢٨٣) إنجيل متى ١٠/٤
(٢٨٤) انظر عبدالله الترجمان. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ١٩١-١٩٢
(٢٨٥) إنجيل يوحنا ٣٩/٨-٤٠

al-maktabeh
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

(٢٨٦) انظر إنجيل متى ١٩/١١، ٣٢/١٢، ٤٠، ٢٨/٢٠، ٣٠/٢٤، ٣١/٢٥، ٢٤/٢٦، وإنجيل مرقس ٢٨/٢، ٩/٩، ٤١/١٤، وإنجيل لوقا ٥٦/٩، ٢٤/١٧، ٢٦، ٨/١٨، وإنجيل يوحنا ١٣/٣، ٢٧/٥، ٢٧/٦، ٣١/١٣

(٢٨٧) أعمال الرسل ٢٢/٢

(٢٨٨) إنجيل لوقا ١٩/٢٤

(٢٨٩) إنجيل يوحنا ٤٠/٧

(٢٩٠) إنجيل يوحنا ١٩/٤

(٢٩١) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٥/٣

(٢٩٢) انظر إنجيل متى ١٠/٢١-١١، ٤٥-٤٦، وإنجيل لوقا ١٦/٧، وإنجيل يوحنا ١٤/٦

(٢٩٣) إنجيل يوحنا ٧/٤

(٢٩٤) إنجيل متى ٢٤/٨-٢٥، وإنجيل مرقس ٣٥/٤-٤٠

(٢٩٥) إنجيل لوقا ٣٥/١٩

(٢٩٦) إنجيل لوقا ٤٤/٢٢

(٢٩٧) إنجيل يوحنا ٣٢/١١-٣٦

(٢٩٨) إنجيل مرقس ٣٥/٣٤

(٢٩٩) سورة المائدة آية ٧

(٣٠٠) إشارة إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : (كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية ...)(رواه البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث رقم (٧٣٦٢) وكتاب التوحيد ، حديث رقم (٧٥٤٢) .

(٣٠١) نظر ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٢٢٤ - ٢٣٨
(٣٠٢) إنجيل متى ٩/١٨-٢٢، ١٩-٢٦
(٣٠٣) إنجيل مرقس ٥/٤٢
(٣٠٤) إنجيل لوقا ٨/٥٥
(٣٠٥) إنجيل لوقا ٧/١١ - ١٧
(٣٠٦) إنجيل يوحنا ١١/١ - ٤٤
(٣٠٧) انظر سفر الخروج ٤/٣، ٩/٧
(٣٠٨) انظر سفر الخروج ٨/١٢
(٣٠٩) انظر سفر العدد ١٧/٢٣ - ٢٤
(٣١٠) انظر سفر حزقيال ٣٧/١ - ١٤
(٣١١) انظر سفر الملوك الأول ١٧/١٧ - ٢٤
(٣١٢) انظر سفر الملوك الثاني ٤/٨-٣٧ ، ٨/١-٣
(٣١٣) انظر سفر الملوك الثاني ١٣/٢٠ - ٢١
(٣١٤) أعمال الرسل ٩/٣٦-٤٢
(٣١٥) أعمال الرسل ٢٠/٧-١٢
(٣١٦) إنجيل يوحنا ٨/٢٨
(٣١٧) إنجيل يوحنا ١٠/٢٥
(٣١٨) سورة المائدة آية ١١٠
(٣١٩) إنجيل متى ٩/٢٠ - ٢٣
(٣٢٠) إنجيل يوحنا ٤/٤٥ - ٥٣
(٣٢١) إنجيل لوقا ٤/٣٨ - ٤١
(٣٢٢) إنجيل لوقا ٥/١٢ - ١٦
(٣٢٣) إنجيل مرقس ٢/١ - ١٢

(٣٢٤) انظر إنجيل مرقس ١٠/٤٦-٥٢، ٨/٢٢-٢٥
(٣٢٥) انظر إنجيل متى ٨/٢٨-٣٢، ٩/٣٢-٣٤
(٣٢٦) انظر إنجيل يوحنا ٥/١ - ٤٧ ، ومتى ١٢/ ٩ - ١٣
(٣٢٧) سفر الملوك الأول ١٧/١٧-٢٤
(٣٢٨) سفر الملوك الثاني ٥/١-٢٧
(٣٢٩) سفر الملوك الثاني ٦/١٤-٢٠
(٣٣٠) سفر العدد ١٧/٢٣-٢٤
(٣٣١) إنجيل متى ١٢/٢٧
(٣٣٢) إنجيل يوحنا ٨/١٠، ٢٨/٢٥
(٣٣٣) سورة المائدة آية ١١٠
(٣٣٤) انجيل متى ١٤/١٣ - ٢١، وانظر إنجيل مرقس ٦/٣٥-٤٤، وإنجيل لوقا ٩/١٠-١٧، وإنجيل يوحنا ٦/١-١٤
(٣٣٥) إنجيل يوحنا ٢/١ - ١٢
(٣٣٦) إنجيل متى ١٤/٩
(٣٣٧) إنجيل مرقس ٦/٣٨
(٣٣٨) إنجيل يوحنا ٦/٥
(٣٣٩) سفر الملوك الأول ١٧/٨-١٦
(٣٤٠) رسالة يعقوب ٥/١٧-١٨
(٣٤١) انظر سفر الملوك الثاني ٤/١ - ٧
(٣٤٢) سورة المائدة آية ١١٢-١١٥
(٣٤٣) انظر إنجيل متى ١١/١٩، وإنجيل لوقا ٧/٣٤
(٣٤٤) إنجيل لوقا ٢١/٣٤
(٣٤٥) إنجيل لوقا ١/١١-١٤
(٣٤٦) انظر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٥/٦ ، ١١/١٠ ، ورسالته إلى أهل غلاطية ٥/٢١

(٣٤٧) رسالة بطرس الأولى ٣/٤
(٣٤٨) سورة المائدة آية ٩٠-٩١
(٣٤٩) إنجيل متى ٢٣/٨ -٢٧
(٣٥٠) إنجيل متى ١٤ / ٢٢ - ٣٣
(٣٥١) إنجيل متى ٢١ / ١٨ - ١٩
(٣٥٢) إنجيل متى ٢٥/٨
(٣٥٣) إنجيل متى ٢٨/٨
(٣٥٤) إنجيل متى ٢٨/١٤-٢٩
(٣٥٥) إنجيل متى ١٨/٢١-١٩
(٣٥٦) انظر سفر الملوك الثاني ٨/٢
(٣٥٨) سفر يشوع ١٦/٣ -١٧
(٣٥٩) سفر الملوك الثاني ٧/١-١٤
(٣٦٠) سفر يشوع ١٢/١٠-١٣
(٣٦١) انظر سفر الخروج ١٥/١٤-١٦، ٢١-٢٣، ٢٦-٣١
(٣٦٢) انظر إنجيل لوقا ١٩/١٦، ٥١/٢٤، وأعمال الرسل ٩/١
(٣٦٣) انظر إنجيل مرقس ١٩/١٦
(٣٦٤) زكي شنودة . موسوعة تاريخ الأقباط ١٤٣
(٣٦٥) سورة النساء آية ١٥٧-١٥٨
(٣٦٦) سفر التكوين ٢٤/٥ ، وانظر رسالة بولس إلى العبرانيين ٥/١١
(٣٦٧) سفر الملوك الثاني ١١/٢
(٣٦٨) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٢٢٧
(٣٦٩) انظر لكاتب هذا البحث دراسة نقدية لقانون الإيمان المقدس عند النصارى ، طباعة ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية (الرياض)

(٣٧٠) انظر إنجيل متى ١٧/٢٦، ومرقس ١٢/١٤-١٦، ويوحنا ٢١/١٦، ١٧/٣٠، ولوقا ٧/٢٢

(٣٧١) سورة آل عمران آية ٤٩

(٣٧٢) انظر إنجيل متى ٣٤/١٥

(٣٧٣) انظر إنجيل يوحنا ٢٠/٥

(٣٧٤) انظر إنجيل متى ٥/٨-١٠

(٣٧٥) انظلر إنجيل متى ٣٦/٢٤، ومرقس ٣٢/١٣-٣٣

(٣٧٦) انظر سفر التكوين ١/٤٩-٢٧

(٣٧٧) انظر سفر التثنية ١/٣٣-٢

(٣٧٨) انظر سفر صموئيل الأول ٢/١٠-٩

(٣٧٩) انظر سفر الملوك الأول ٢١/٢١-٢٤

(٣٨٠) انظر سفر الملوك الثاني ٨/٤-١٨

(٣٨١) انظر سفر الملوك الثاني ١٢/٨-١٣

(٣٨٢) انظر سفر العدد ١٥/٢٤-١٩، وسفر صموئيل الأول ٢٣/١٩-٢٤، وإنجيل يوحنا ٤٩/١١-٥٢

(٣٨٣) سورة آل عمران آية ٤٥-٤٦

(٣٨٤) سورة المائدة آية ١١٠

(٣٨٥) سورة مريم آية ٢٨-٣٠

(٣٨٦) ابن جرير الطبري. جامع البيان مج٣، ج٣، ص٢٧٢

(١/٣٨٧) انظر على سبيل المثال : إبراهيم لوقا. المسيحية في الإسلام (كامل الكتاب) وانظر البابا شنودة. القرآن والمسيحية (بحث ضمن كتاب للقمص بولس باسيلي. المسيح من هو. رسالة حب وسلام بين المسيحية والإسلام ص ٢٠٣-٢١٤

(٢/٣٨٧) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٥٤٥/١

(٣٨٨) سورة هود آية ٤٢

(٣٨٩) سورة النمل آية ٣٨ – ٤٠
(٣٩٠) سورة البقرة آية ٢٦٠
(٣٩١) سورة البقرة آية ٥٥ - ٥٦
(٣٩٢) سورة البقرة آية ٧٢
(٣٩٣) سورة البقرة آية ٢٥٩
(٣٩٤) سورة طه آية ١٧- ٢١
(٣٩٥) سورة طه آية ٦٥ - ٦٩
(٣٩٦) سورة الشعراء آية ٦٣-٦٧
(٣٩٧) سورة الأعراف آية ١٦٠
(٣٩٨) سورة طه آية ٢٢
(٣٩٩) سورة النمل آية ١٢
(٤٠٠) سورة القصص آية ٣٢
(٤٠١) سورة الأعراف آية ١٣٠ – ١٣٣
(٤٠٢) سبق الترجمة له في هامش (١/١٤٢)
(٤٠٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/٦٣-٦٤
(٤٠٤) سبق الترجمة لابن قيم الجوزية في هامش (٢٢٩)
(٤٠٥) سورة النساء آية ١٧١
(٤٠٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٢٣١
(٤٠٧) سورة مريم آية ٨٨ - ٩٤
(٤٠٨) رواه البخاري في صحيحة- كتاب التفسير - تفسير سورة الصمد، حديث رقم ٤٩٧٤
(٤٠٩) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب (وقالوا اتخذ الله ولداً) حديث رقم ٤٤٨٢

(٤١٠) رواه البخاري في صحيحة - كتاب الأدب - باب الصبر على الأذى - حديث٦٠٩٩ واللفظ للبخاري ، ومسلم في صحيحة - كتاب المنافقين - باب لا أحد أصبر على أذى ٤/٢١٦٠ حديث٤٩ ، ٥٠

(٤١١) القمص ميخائيل جرجس. علم اللاهوت العقدي ٢/١٧٢-١٧٣

(٤١٢) القس حنا جرجس الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ٢/٣٤٦-٣٤٧

(٤١٣) إنجيل مرقس ٨/٣٤ -٣٥

(٤١٤) براهين ألوهية المسيح ص ١٠٤

(٤١٥) انظر إنجيل مرقس ١٤/٢٧ - ٣٠ ،وانظر إنجيل متى ٢٦ / ٣٤ ، وإنجيل لوقا ٢٢/ ٣٤

(٤١٦) انظر إنجيل لوقا ٢٢/ ٤٧ - ٤٨ ، وإنجيل مرقس ١٤/٤٣ - ٤٦ ، وإنجيل يوحنا ١٨/٣ - ٩ ، وإنجيل متى ٢٧ / ٣٢ ، وإنجيل يوحنا ١٩/ ١٦ - ١٨ ، وانظر إنجيل مرقس ١٥/٢١ ، وإنجيل لوقا ٢٣/ ٢٦

(٤١٧) القس حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ٢/٣٤٨، وانظر جورجيا هركنس. بماذا يؤمن المسيحيون ؟ ص ٦٢-٦٤

(٤١٨) القمص ميخائيل جرجس. علم اللاهوت العقدي ٢/١٠٣

(٤١٩) إنجيل مرقس ١٤/٢٧-٣٠

(٤٢٠) إنجيل متى ٢٦/٣٤، وانظر إنجيل لوقا ٢٢/٣٤

(٤٢١) إنجيل لوقا ٢٢/٤٧-٤٨، وإنجيل مرقس ١٤/٤٣-٤٦

(٤٢٢) إنجيل يوحنا ١٨/٣-٩

(٤٢٣) إنجيل متى ٢٧/٣٢

(٤٢٤) إنجيل يوحنا ١٩/١٦-١٨

(٤٢٥) إنجيل مرقس ١٥/٢١، وإنجيل لوقا ٢٣/٢٦

(٤٢٦) إنجيل متى ٢٧/١١-١٤، وإنجيل مرقس ١٥/٢-٥

(٤٢٧) إنجيل يوحنا ٣٦/١٨
(٤٢٨) سفر التثنية ٢١/ ٢٣
(٤٢٩) انظر الرسالة إلى أهل غلاطية ١٣/٣
(٤٣٠) إنجيل لوقا ٤/ ١٠
(٤٣١) إنجيل يوحنا ١٩/ ٣٦
(٤٣٢) إنجيل يوحنا ٣٢/٧ - ٣٦ ، ٨ / ٢١ - ٢٥
(٤٣٣) انظر أحمد بن إدريس القرافي. الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ص ٣٥
(٤٣٤) سورة النساء آية ١٥٧ - ١٥٨
(٤٣٥) هو الإمام : صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي ، كنيته أبو البقاء ، ولد بمصر سنة ٥٨١هـ ، نشأ في بيت علم وفقه ، واشتهر بطلب العلم ، تولى القضاء في مدينة قوص المصرية ، وتولى ولايتها فترة من الزمن ، توفي رحمه الله في القاهرة سنة ٦٦٨هـ ، اشتهر من مؤلفاته في الرد على النصارى: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، حققه محمود قدح ، وله أيضاً : البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ، وكتاب : الرد على النصارى (انظر ترجمة محقق تخجيل من حرف التوراة ٣٤/١- ٤٧) .
(٤٣٦) انظر إنجيل متى ، الاصحاح الرابع ، ومرقس ، الاصحاح الأول ، ولوقا ، الاصحاح الثاني ، ويوحنا ، الاصحاح الثاني .
(٤٣٧) إنجيل متى ٦٣/٢٦
(٤٣٨) إنجيل مرقس ٢٧/١٤-٣١ ، وذكره المؤلف بالمعنى
(٤٣٩) إنجيل متى ١/١٧-٨، ومرقس ٢/٩-٨، ولوقا ٢٨/٩-٣٦
(٤٤٠) إنجيل مرقس ٣٦/١٥

(٤٤١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١/٢١-٢٦ ، وذكره المؤلف بألفاظ متقاربة .
(٤٤٢) إنجيل يوحنا ١/١٨
(٤٤٣) إنجيل يوحنا ١٨/٤-٩، وذكره المؤلف بألفاظ متقاربة .
(٤٤٤) إنجيل لوقا ٢٤/١٣-٣١، في سياق طويل ، وقد ذكره المؤلف مختصراً .
(٤٤٥) إنجيل لوقا ٢٢/٣٦-٤٣
(٤٤٦) إنجيل يوحنا ١/٢١-٧ ، وذكره المؤلف مختصراً .
(٤٤٧) إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٨
(٤٤٨) انظر صالح بن الحسين الجعفري. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/٣٤١-٣٤٨
(٤٤٩) شارل جينيبير. المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٧، ١٣٤،
(٤٥٠) سورة آل عمران آية ٥٢-٥٣
(٤٥١) سورة الصف آية ١٤
(٤٥٢) زكي شنودة - موسوعة تاريخ الأقباط ١/١٧٧ ، وانظر حسني يوسف الأطير. عقائد النصارى الموحدين ٣٢-٣٣
(٤٥٣) سفر التثنية ٢١/ ٢٣
(٤٥٤) ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٢٣
(٤٥٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/٣١٢ -٣١٣
(٤٥٦) سفر التثنية ٢٤/١٦
(٤٥٧) سفر حزقيال ١٨/٢٠
(٤٥٨) إنجيل متى ١٨/٨-١٠، ١٦/٢٦-٢٧
(٤٥٩) إنجيل متى ٢٥/٤١-٤٦
(٤٦٠) إنجيل متى ٢٣/٣٣

(٤٦١) سورة طه آية ١٢١ - ١٢٢
(٤٦٢) سورة البقرة آية ٣٦
(٤٦٣) سورة النجم آية ٣٩
(٤٦٤) سورة الأنعام آية ١٦٤
(٤٦٥) سورة الإسراء آية ١٥
(٤٦٦) سورة الأنعام آية ١٦٠
(٤٦٧) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٤٦٨) انظر القمص ميخائيل جرجس. علم اللاهوت العقدي ١٩٦/٢
(٤٦٩) القس حنا جرجس الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ٣٥٧/٢
(٤٧٠) انظر إنجيل متى ١/٢٨-٧، ومرقس ١/١٦-١١، ولوقا ٥٦/٢٣، ١٢/٢٤، ويوحنا ١/٢٠-٨
(٤٧١) انظر إنجيل يوحنا ١٩/٢٠-٢٥
(٤٧٢) انظر إنجيل يوحنا ٢٦/٢٠-٢٩
(٤٧٣) أعمال الرسل ١٤/٢، ٣٢
(٤٧٤) أعمال الرسل ٢٢/٢، ٢٤-٢٩
(٤٧٥) أعمال الرسل ٢٩/٥
(٤٧٦) أعمال الرسل ٣١/١٧
(٤٧٧) انظر رسالة بولس إلى أهل رومية ٤/١ ، ورسالته إلى أهل أفسس ١٩/١
(٤٧٨) انظر القمص ميخائيل جرجس. علم اللاهوت العقدي ٢٠١/٢-٢١٩
(٤٧٩) القس حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ٣٥٠/٢
(٤٨٠) المرجع السابق ٣٥٠/٢
(٤٨١) المرجع السابق ٣٥١/٢

(٤٨٢) المرجع السابق ٢/٣٥٤-٣٥٥
(٤٨٣) انظر حسني يوسف الأطير - عقائد النصارى الموحدين ص ٢٨
(٤٨٤) انظر إنجيل متى ١/٢٨، ومرقس ٢/١٦، ولوقا ١/٢٤
(٤٨٥) انظر إنجيل يوحنا ١/٢٠
(٤٨٦) انظر إنجيل متى ١/٢٨
(٤٨٧) انظر إنجيل مرقس ١/١٦-٢
(٤٨٨) انظر إنجيل لوقا ١/٢٤
(٤٨٩) انظر إنجيل يوحنا ١/٢٠
(٤٩٠) انظر إنجيل متى ٢/٢٨
(٤٩١) انظر إنجيل مرقس ٢/١٦-٦، ولوقا ٢/٢٤-٦، ويوحنا ١/٢٠-١٠
(٤٩٢) انظر إنجيل متى ٢/٢٨
(٤٩٣) انظر إنجيل مرقس ٣/١٦، ولوقا ٢/٢٤، ويوحنا ١/٢٠
(٤٩٤) انظر إنجيل متى ٣/٢٨، ومرقس ٤/١٦
(٤٩٥) انظر إنجيل لوقا ٤/٢٤، ويوحنا ١٢/٢٠
(٤٩٦) انظر إنجيل متى ٦/٢٨، ومرقس ٦/١٦
(٤٩٧) انظر إنجيل لوقا ٥/٢٤
(٤٩٨) انظر إنجيل يوحنا ١٤/٢٠
(٤٩٩) انظر إنجيل متى ٩/٢٨
(٥٠٠) انظر إنجيل مرقس ٩/١٦، ويوحنا ١٤/٢٠
(٥٠١) انظر إنجيل لوقا ١٣/٢٤
(٥٠٢) انظر إنجيل متى ٩/٢٨-١٠
(٥٠٣) انظر إنجيل مرقس ١٥/١٦-١٨، ولوقا ١/٢٤-١٢، ويوحنا ١١/٢٠-١٨
(٥٠٤) انظر إنجيل متى ١٣/٢٨

(٥٠٥) انظر إنجيل مرقس ١/١٦-٨، ولوقا ١/٢٤-١١، ويوحنا ١١/٢٠-١٨

(٥٠٦) انظر إنجيل يوحنا ١٥/٢٠-١٧

(٥٠٧) انظر إنجيل يوحنا ٢/٢٠-٦

(٥٠٨) انظر إنجيل متى ٥/٢٨-٦

(٥٠٩) انظر إنجيل مرقس ٥/١٦-٦

(٥١٠) انظر إنجيل لوقا ٤/٢٤-٥

(٥١١) انظر إنجيل متى ١/٢٨

(٥١٢) انظر إنجيل مرقس ٧/١٦

(٥١٣) انظر إنجيل لوقا ٥٥/٢٣، ٩/٢٤-١١

(٥١٤) انظر إنجيل متى ١/٢٠-١٠

(٥١٦) انظر إنجيل مرقس ٩/١٦-١١

(٥١٧) انظر إنجيل لوقا ٩/٢٤-١٢

(٥١٨) انظر إنجيل يوحنا ٨/٢٠-١٨

(٥١٩) انظر إنجيل متى ٩/٢٨

(٥٢٠) انظر إنجيل مرقس ٩/١٦-١١

(٥٢١) انظر إنجيل لوقا ١٣/٢٤-١٥

(٥٢٢) انظر إنجيل يوحنا ١١/٢٠-١٤

(٥٢٣) انظر إنجيل متى ١٦/٢٨

(٥٢٤) انظر إنجيل مرقس ٩/١٦-١٤

(٥٢٥) انظر إنجيل لوقا ٣٣/٢٤-٣٦

(٥٢٦) انظر إنجيل يوحنا ١٩/٢٠-٢٦

(٥٢٧) انظر إنجيل يوحنا ١/٢١

(٥٢٨) انظر إنجيل متى ٩/٢٨

(٥٢٩) انظر إنجيل متى ١٦/٢٨
(٥٣٠) انظر إنجيل مرقس ٩/١٦
(٥٣١) انظر إنجيل مرقس ١٢/١٦
(٥٣٢) انظر إنجيل مرقس ١٤/١٦
(٥٣٣) انظر إنجيل لوقا ١٣/٢٤
(٥٣٤) انظر إنجيل لوقا ٣٦/٢٤
(٥٣٥) انظر إنجيل يوحنا ١٧/٢٠
(٥٣٦) انظر إنجيل يوحنا ٢٤/٢٠
(٥٣٧) انظر إنجيل يوحنا ٢٠/٢٦
(٥٣٨) انظر إنجيل يوحنا ١/٢١
(٥٣٩) انظر إنجيل متى ١٦/٢٨، ومرقس ١٤/١٦، ولوقا ٢٦/٢٤
(٥٤٠) انظر إنجيل يوحنا ١٤/٢١، وللمزيد عن هذه المقارنات انظر عبدالحمن باجه جي زادة ـ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٩٢-٣٠١، ومحمد علي الخولي ـ مقارنة بين الأناجيل الأربعة ص ٨٤-٨٧
(٥٤١) عبدالرحمن باجه جي زادة ـ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٠٠-٣٠٢ .

مصادر ومراجع البحث

❖ **الترتيب حسب حروف الهجاء من أسماء المؤلفين بعد ذكر المصادر.**

أ- المراجع الإسلامية :

١- القرآن الكريم .
٢- صحيح البخاري .
٣- صحيح مسلم .
٤- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - مطابع المجد- القاهرة - بدون تاريخ.
٥- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الفتاوى جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء .
٦- أحمد بن إدريس القرافي - أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، تحقيق عبد الرحمن دمشقية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، بدون ناشر .
٧- أحمد بن إدريس القرافي - الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ، تحقيق د. بكر زكي عوض ، مكتبة وهبة – القاهرة ، بدون تاريخ .
٨- أحمد عبد الوهاب - المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٩- أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب بن كثير - تفسير القرآن العظيم ، ضبط حسين بن إبراهيم زهران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٠- حسني يوسف الأطير - عقائد النصارى الموحدين ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
١١ ـ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ـ إظهار الحق ، تحقيق د.محمد أحمد ملكاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، عام ١٤١٠هـ .
١٢ـ صالح بن الحسين الجعفري ـ تخجيل من حرف التورات والإنجيل ، تحقيق د . محمود عبدالرحمن قدح ، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
١٣- عبد الرحمن باجه جي زاده - الفارق بين المخلوق والخالق ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣١٢هـ.
١٤- عبد العظيم المطعني - الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
١٥ ـ عبدالله بن عبدالعزيز الشعيبي ـ قانون الإيمان المقدس عند النصارى ـ دراسة نقدية ، سينشر قريباً إن شاء الله .
١٦ ـ عبدالله بن عبدالعزيز الشعيبي ـ المسيح عيسى بن مريم ـ كلمة الله ألقاها إلى مريم ، سينشر قريباً إن شاء الله .
١٧ عبد الكريم الخطيب - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.
١٨ ـ عبدالله الترجمان الميورقي ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، دراسة وتحقيق د. عمر وفيق الداعوق ، دار البشائر

الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٩ - محمد بن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، عام ١٤٠٥هـ
٢٠. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق د ز أحمد حجازي السقا ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ
٢١ - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
٢٢ - محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح ، دار الدعوة
٢٣ - حمد بن عبد الوهاب - كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة .
٢٤ - محمد بن أحمد الغزالي المعروف بأبي حامد الغزالي - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، تحقيق د. محمد بن عبدالله الشرقاوي، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ .
٢٥ - محمد عزت الطهطاوي - النصرانية في الميزان ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٢٦ - محمد بن يعقوب الفيروزبادي - القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ،بيروت .
٢٧ - محمد بن علي الخولي - مقرنة بين الأناجيل الأربعة ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، عام ١٩٩٣م .
٢٨ - محمد بن محمد أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٩ ـ محمد بن أحمد القرطبي - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق أحمد السقا ، دار التراث العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ب- المراجع النصرانية :

٣٠ ـ كتاب النصارى المقدس :
أ- العهد القديم ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
ب- العهد الجديد ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
٣١ ـ جون لوريمر ـ تاريخ الكنيسة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٣٢ ـ جورجيا هركنس ـ بماذا يؤمن المسيحيون ؟ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٣٣ ـ حنا جرجس الخضري - تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨١م .
٣٤ ـ زكي شنودة - موسوعة تاريخ الأقباط، بدون ناشر ولا تاريخ.
٣٥ ـ شارل جينيبير - المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٣٦ ـ وديع ميخائيل - براهين ألوهية المسيح ، الطبعة الرابعة ، بدون ناشر ولا تاريخ .
٣٧ ـ القمص ميخائيل جرجس ـ علم اللاهوت العقدي ، مركز الدلتا للجمع التصويري ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م .

فهرس الموضوعات

	رقم الصفحة
- مقدمة.	٥
- المبحث الأول: اعتقادهم تجسد الإله (الكلمة) في المسيح.	١١
■ المطلب الأول: مناقشة القضية الأولى.	١٥
■ المطلب الثاني: مناقشة القضية الثانية.	٢٩
■ المطلب الثالث: مناقشة القضية الثالثة.	٣٦
- المبحث الثاني: اعتقادهم أن المسيح ابن الله ومساواته بالله.	٤٥
■ المطلب الأول : اعتقادهم أنه ابن ال.له	٤٥
■ المطلب الثاني: اعتقادهم مساواته مع الله.	٦٣
- المبحث الثالث: أعتقادهم ألوهية المسيح من خلال معجزاته.	٨١
- المبحث الرابع: اعتقادهم ألوهية المسيح من خلال صلبه وقيامته.	١٠٣
■ المطلب الأول: اعتقادهم صلب المسيح.	١٠٣
■ المطلب الثاني: اعتقادهم قيامة المسيح من الأموات.	١٢١
- خاتمة البحث.	١٣١
- الهوامش والتعليقات.	١٣٥
- مصادر ومراجع البحث.	١٦٥
- الفهرس.	١٦٩

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض